مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

جمادى الأولى 1441هـ - ديسمبر 2019م

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الشعراء الذين تأثروا بالثقافة العربية رالف والدو إيمرسَن Ralph Waldo Emerson (١٨٠٣-١٨٨٢). شاعر وكاتب أمريكي قاد حركة «الفلسفة المتعالية» في منتصف القرن التاسع عشر، بل كان يعد بطلا للفلسفة «الفردية» وقد انتصر لها في شعره ومقالاته الصحفية ومحاضراته في الجامعات الأمريكية. نترجم له هذه القصيدة التي يتجلى فيها العرب وثقافتهم:

هيرمايني

على رابية كان عَرَبِيٌّ مُضْطَجِعًا،
يُغَنِّي التياعَه العَذْبَ
ويبوحُ بتمائمه:
وكانتْ طيورُ الصَيف
تستمعُ لأشجانه
وعندما أطلق تنهيدةً عميقة،
غَمَر الأرضَ طائرُ السنونو الودود.
«إذا كانتْ، كما زعموا، ليستْ جميلةً،
فإنّ الجَمَالَ قبيحٌ عندي،
ولكنّها مُتَوّجة بروح مَهيبة
هذه هيرمايني
تشرّبتْ رونقَ اليابسة والمحيطات،
التلالِ والجزر، الغيم والشجر،
في قوَامها وحَرَكتها.
لا أريد شيئا من حُليّها المُنْمَنَمَة
ولا قَصَّةً من
جدائل شَعْرها الفاره ذاتَ صَباح،
حيث تتضاءل الجِبَالُ والسهولُ
السَّديميّة
أمامَ جَمالِ صورتها الهائلة
بلْ هي طلاءُ رَوْعتها،
المتشرّبةُ من سَجاياها
وقيانُها المُترنّمة بصيتها
إنها السيدةُ وآلهةُ الشِّعْر».
«إلى الأعلى يا سُنُونُوتي العزيزة
لا تُبالي بما أقولُ
آه، لا تكترثي لقُوّة الضعيف
فقط أخبريني هلْ كان منْ العَدْل،
أن أتخيّلَك وأن تثقي بي
أن أراك شآميّة؟»
«أنا من سلالة
سريعة العشق
في مَدارس البصرة القديمة
كنتُ ناسكًا مَنذورًا للكتُب والأسى،
ومُسَخَّرًا لخدمة العرسان الجَذْلى
ولكنّي انْعَتقتُ بلمستك
ونظراتك الخاطفة،
لقد تحدّثنا كثيرًا عن مصير الدنيا،
ومَسَحْنا كلَّ أثَر».

«كنتُ أعيشُ منعزلا
ولكني الآن أحيا مع الجميع؛
مثلَ مِصْباح الراعي على أقصى التلال
يَلمحُه المُسافرُ،
بابًا في قلب الجَبَل،
وقد تراءيتِ لي أنتِ سَبيلا حُرًا
من وراء الصخور».
«والآن أنا الهائم بك على غير هُدى
في بلادٍ غريبة ملعونة،
عشيرتي جاءتْ لتطمئنّ علي
وريحُ الجَنوب هي أقربُ أرحامي
تأتي عَبْرَ غابةٍ عَطِرة،
خَدِرة بتوابلَ من مناخٍ دافئ،
وفي كل فُسْحةٍ مُتلألئة،
وزاوية غَسَقية،
تكشفُ لي عن قَوَامك.
وبعيدًا باتّجاه الغابة
تبعتُها البارحةَ
وعندما جلستُ جنبَ النهر،
أشاهدُ تَلاشيَ النهار،
خَفَقَ قوامُك من الغدير».
«النهرُ، والمُنْحَنى، والطيورُ، والورودُ،
الغابةُ، والشمسُ، والليلُ البكْر،
هي غوثي
هي سَلْوتي
تُنادِيني:
اصمدْ! نحن أنصارُك،
واعلمْ،
أنّ وَشيجةً تربط الكائنات مهما
ابتعدتْ.
على حبيبتك أنْ تَفعلَ فِعْلَكَ،
فوق إرادتها.
وإنْ عانَدَتْكَ
افْزَعْ إلى الرِّيَاح والشّلالات
وكرنفالات الخريف المُشْمِسة،
إلى الموسيقى، وهواجسِها،
ارْتَطِمْ بها بشكل لا خَلاصَ منه،
هناك ستجدك حبيبتُك.
لا تُلاحِقْ أجنحتَها المُحلّقة؛
تعالَ إلينا لتلتقيَ بها».

hilalalhajri@hotmail.com

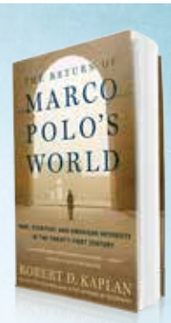

• عودة عالم ماركو بولو
• روبرت ديفيد كابلان

• علم الباطن الإسلامي
• ألبيرتو فينتورا

• الاحتياجات الاصطناعية...
• رازميج كوشيان

• الركن الثالث...
• راغورام راجان

• تاريخ السينما...
• إيغور بيلينكي

• إقامة الدين...
• سيد سعادة الله الحسيني

• حرب الهيكل
• جانلوكا ماريليتا

• الفضاء العمومي...
• هنرييتا يوستن

• التفوق...
• أنجيلا ساينى

• حجج فاسدة...
• تأليف جماعي

إصدارات عالمية جديدة

صفحة 22 و 23

عودة عالم ماركو بولو.. الحرب والإستراتيجية والمصالح الأمريكية في القرن الواحد والعشرين لروبرت ديفيد كابلان

مُحمَّد الشيخ *

يعدُّ روبرت كابلان أحد أبرز المحللين الجيو-سياسيين والإستراتيجيين الكبار في زماننا هذا. فضلا عن كونه أحد المسموعين في دوائر القرار السياسي. وقد جمع في شخصه بين أمرين: في كتاباته ما يشبه تقليد مرايا الأمراء حيث يتكفل بإسداء النصح إلى أصحاب القرار السياسي بأمريكا، وفي تفكيره الاستراتيجي في المسائل الجيو-سياسة تفرد ودهاء.. وفي الأمرين معا يجمع بين مذهبين متكاملين، «الواقعية» و«البراجماتية»، ويحارب مذهبين، «الطوباوية» و«المثالية»، ويعمل بالقاعدة الذهبية التي استنها لنفسه: «لكي يفهم الإنسان الماضي ويتساءل حول المستقبل، فإن أفضل حل هو أن يجول وأن يعاين الأمور في مكانها بتؤدة». ولهذا السبب، ذَرَعَ العالَمَ، طولا وعرضا، ذهابا وجيئة، ودوّن ما عاينه في العديد من كتبه التي تجمع بين التحليل السياسي ومدونات السفر. وقد كتب أزيد من عشرين مؤلفا أهمها «انتقام الجغرافيا» الذي قال عنه كيسنجر بأنه «عظيم في نوعه»، نبه فيه إلى أن حكم الجغرافيا، من الفراعنة إلى الربيع العربي، لا زال ساريا في مصير الأمم. كما رسم صورة دقيقة عن كارثة البوسنة في كتابه «أشباح البلقان». وفي عمله «الفوضى القادمة». الذي اعتبر أهم كتاب عن مستقبل كوكبنا إلى جانب كتاب فوكوياما «نهاية التاريخ» وكتاب هانتنغتون «صدام الحضارات». تبنى نظرة معادية للطوباوية حاولت فهم عالم ما بعد الحرب الباردة، طرح فيه سؤال: ما الذي ينبغي لأمريكا فعله عندما ينفجر العنف بعيدا عن حدودها؟ ووجه صك اتهام قوي ضد خطط أمريكا لتصدير «الديمقراطية» إلى أماكن لا يمكنها أن «تنجح» فيها.

ويستلهم الكتاب الذي بين أيدينا عنوانه من أول وأهم مقالات كابلان. وقد شمل سبعة عشر مقالا توزعت على أبواب خمسة: إستراتيجية، الحرب وتكاليفها، مفكرون، تأملات، إحياء ماركو بولو. وهو كتاب جمع أشتاتا من التحليل الأكاديمي العميق، وفقرات من مرويات رحلية، ومعطيات من السير ... ترى، ما الذي يجمع بين كل هذه الأشتات؟ أمران جوهريان: أولهما؛ وصف العالم كما هو في «واقعيته» لا في «تجريديته». وثانيهما: عرض المقاربة الأمريكية لما يمكن أن تفعله أمريكا في هذا العالم الموصوف.

١- في توصيف العالم كما هو وبما هو: ما كان أعدى شيء عند الرجل من التجريد. ولئن ذُكِرَ أن الفيلسوف الألماني كانط كان يعرف عالم زمانه، نهرا نهرا وسهلا سهلا، وهو لم يغادر مدينته قط، وإنما من خلال كتب الجغرافيا؛ أي بمعرفة قائمة على ما في الكتب، فإن كابلان، وعلى خلافه، يكاد يعرف مشاهدةً كل نهر نهر وبحر بحر ذكره في كتابه. وما أكثرها! وما أشد تنوعها! فما يهمه هو ما الذي يحدث حقيقة على الأرض. وأطروحته الكبرى، بهذا الصدد، أن ما يحدث في عالم اليوم الشبكي، ما كان انهزام الجغرافيا أمام تكنولوجيا الاتصالات، على ما يروج، وإنما التشابك الذي استجد بين الجغرافيا والتكنولوجيا. لقد أمسى عالم اليوم أكثر تداخلا وأشد عصبية مما كان عليه من قبل. وترتبت عن هذا أمور من بينها هشاشة الجيو سياسة، وتشابك الأزمات.

ويدافع المؤلف عن فكرة مكونة من شقين: أوروبا سائرة إلى الاندثار، و«أوروآسيا» إلى الاندماج. وبين الأمرين تعالق. لقد أمسى ثمة اندماج بين قارتين هما أوروبا وآسيا في قارة كبرى يسميها «أوروآسيا». ذلك أن أوروبا منذورة كوحدة جيوسياسية قائمة الذات إلى التواري. ما عاد عالم الحرب العالمية وما بعدها. الحرب الباردة. يسعف في فهم ما يحدث اليوم. وإنما صارت أوروبا متواحدة مع آسيا، وبدأنا نتحدث عن «أوروآسيا»، كما ما أمكن الحديث عنها منذ عقد من الزمن، كوحدة نظام تجارة وتنافس وتنازع. لقد أفل نظام ويستفاليا (٢٤ أكتوبر ١٦٤٨) الذي أرسى أسس النظام العالمي لقرون، وها هي ميراثات إمبراطوريات -روسيا، الصين، إيران، تركيا- تبيت ذات أولوية في النظام الدولي الناشئ. وها قد صارت «أوروآسيا» متعالقة: ما من أزمة تحدث في أوروبا إلى أزمة تحدث في إقليم بالصين إلا ويوجد بينهما تعالق. ذلك أنه لأزيد من نصف قرن عمل «النيتو» على ترجمة ألف سنة من تقليد في القيم السياسية والأخلاقية مديد . اسمه «الغرب» . إلى حلف عسكري. لقد كان «النيتو» ثقافة قبل كل شيء. ثقافة تضرب بجذورها إلى الميراثات الفلسفية والإدارية للإغريق وللرومان، فبزوغ المملكة المسيحية في بواكير العصور الوسطى، فإلى حركة التنوير في القرنين ١٧ و١٨، والذي نبعت منها الثورة الأمريكية. وكانت القيم التي التأم حولها أهل الحلف هي: حكم القانون ضد التحكم، علو منزلة دول الحق على دول العرق، حماية الفرد بصرف النظر عن عرقه أو دينه. وقد أعلنت نهاية ما يسميه المؤلف «حرب أوروبا الطويلة»، التي امتدت عنده من عام ١٩١٤ (بداية الحرب العالمية الأولى) إلى عام ١٩٨٩ (سقوط الاتحاد السوفياتي)؛ حيث انتصر الغرب على «النظام الشمولي الثاني» (الاتحاد السوفياتي) بعد انتصاره على «النظام الشمولي الأول» (النازية)؛ فأظهر ذلك انتصار تلك القيم واندحار الشيوعية، وتوسع «النيتو» والاتحاد الأوروبي عبر أوروبا الوسطى والشرقية، من بحر البلطيق في الشمال إلى البحر الأسود في الجنوب.

والذي عند المؤلف أنه جرت العادة بأن تزدهر الحضارات في تعارض مع أخرى. فكما ازدهرت المملكة المسيحية ضدا على مملكة الإسلام التي كانت قد انتشرت بدورها من شمال إفريقيا إلى الهلال الخصيب بين القرنين السابع والثامن الميلاديين، كذلك نحت الغرب أنموذجا جيو-سياسيا في تعارض مع ألمانيا النازية والاتحاد السوفياتي. وهذه الحرب الأوروبية المديدة، التي دامت ثلاثة أرباع القرن، أثرت جيوسياسيا ولا تزال تؤثر. وهي ما يشكل مدخل كابلان إلى وصف العالم الجديد والذي على الجيش الأمريكي، فيما يراه الباحث أن يتعامل معه. بالنسبة إلى أوروبا، تم التخلي عن النزاعات القومية السياسية التي أدت إلى الحربين، وتبني منطق الوحدة العابرة للقوميات. لكن غامت الحدود بفعل حركة العولمة التي أمست تعني، بعد انهيار الحدود الاقتصادية، تبني الرأسمالية الأمريكية والممارسات التدبيرية التي تنبثق عنها، مع تقدم حقوق الإنسان -وهي كلها مفاهيم غربية- بما سمح بالتصاهر بين الثقافات؛ وبالتالي إعادة النظر في التقسيمات بين الشرق والغرب. وهكذا، فإنه لَئِنْ ربح الغرب الحرب الأوروبية، فإنه بدل أن يغزو بقية العالم، بدأ الآن يفقد ذاته في ما سماه المؤرخ الألماني راينولد نيبور «شبكة تاريخ واسعة»؛ وها هو سائر إلى التفكك.

وبهذا، بدأت تلوح معالم جغرافيا إستراتيجية جديدة يلخصها المؤلف في قوله: ها هي أوروبا تتخفى، وها هي أوروآسيا تتبدى. وهذا لا يعني أن أوروآسيا سائرة إلى التوحد التام، أو أنها مستقرة على الطريقة التي استقرت بها أوروبا خلال الحرب الباردة وما بعدها، وإنما يعني أن تفاعلات العولمة والتكنولوجيا والجيوسياسة، حيث كل واحد من هذه يدعم الآخر، تؤدي إلى اندماج قارتين في قارة عظمى «أوروآسيا» لكي تصيرا وحدة سائلة مهضومة. وما هو سائر إلى التحقق ما كان «صدام الحضارات» وإنما «صدام الحضارات التي أقيمت إقامة مصطنعة».

وما عادت ثمة وحدة جغرافية قائمة الذات واضحة المعالم -أوروبا، شمال إفريقيا، الشرق الأوسط، آسيا الوسطى، آسيا الجنوبية، جنوب شرق آسيا، آسيا الشرقية وشبه القارة

الهندية- وإنما هي سائرة بالتدرج إلى أن تفقد دلالتها من حيث هي مفاهيم جيوسياسية. وبالنتيجة، فإنه بسبب تآكل الحدود الصلبة والفوارق الثقافية، تسير الخريطة الدولية إلى إبداء اتصالات رخوة تبدأ من أوروبا الوسطى والأدرياتيك وتنتهي في ما وراء صحراء غوبي حيث بدأ مهد الحضارة الزراعية الصينية. نعم الجغرافيا تهم، لكن الحدود المشروعة لم تعد تهم بنفس الدرجة. وكما حدث في العصور الوسطى؛ حيث كانت منطقة الأندلس مألفا للحضارات الإسلامية واليهودية والنصرانية، تحت إمرة العرب، دون أن يجبروا الناس على تغيير ديانتهم، فإن العالم الذي يتبدى اليوم سوف يكون عالم تسامح وامتزاج ثقافي ذي عبق قوي، حيث ستنحل الروح الليبرالية الغربية لكن فقط بهذه الطريقة سوف تستعيد روحها.

ولسوف تكون الانقسامات الجغرافية أعظم وأضأل مما حدث في القرن العشرين: أعظم؛ لأن السيادات ستتناسل في طائفة من المدن-الدول والمناطق-الدول؛ بحيث ستبزغ هذه التقسيمات في جوف الدول نفسها لكي تحقق نتيجة أكبر من تلك التي حققتها التكتلات الكلاسيكية (الاتحاد الأوروبي، اتحاد أمم جنوب شرق آسيا). وأضأل؛ لأن الفوارق بين المناطق -شأن أوروبا والشرق الأوسط، والشرق الأوسط وجنوب آسيا، وجنوب آسيا وشرق آسيا- سوف تنمحي.. ولسوف تصير الخريطة أكثر ذوبية وباروكية.

لكن هذا لا يعني نشأة عالم وردي؛ ذلك أن التعالق بدل أن يقود إلى مزيد سلام وازدهار وتوحيد ثقافي، كما يدعي المتفائلون بالتقنية، قد يكون له ميراث ملتبس: مع مزيد من التواصلات تصير رهانات الحروب أعظم، ويسهل أن تنشب الحروب وتمتد من منطقة جغرافية إلى أخرى. ولسوف تمسي الشركات الكبرى المستفيد من العالم الجديد، لكن بما أنها عاجزة عن توفير الأمن، سوف تند في النهاية عن كل سيطرة.

ولك أن تنظر إلى ما تفعله الصين حاليا من بناء قنطرة تصل آسيا الوسطى والشرقية، من جهة، وأوروبا، من جهة أخرى، ومن بناء شبكة جغرافية عبر المحيط الهندي من شرق آسيا إلى الشرق الأوسط؛ فإنك تجد طريق الحرير الجديدة ترمز إلى هذا التشابك الجديد حيث لا عقائدية ولا مذهبية... لكن، بقدر ما طفق العالم يمضي نحو التصاغر، بسبب التقدم التكنولوجي، أمسى قابلا للاختراق وشديد التعقيد، مع أزماته المستعصية التي لا يمكن حصرها بعد.

وهنا يستحضر المؤلف صورة التاجر الملاح الفينيسي ماركو بولو، في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، الذي جال عبر طريق الحرير. ويرى أن الطريق التي ارتادها هذا التاجر توفر لنا أرسومة جيدة لتحديد جيوسياسيات أوروآسيا في العهد القريب المقبل. أَلا ما أشبه عالم ماركو بولو بعالمنا اليوم! لقد بقيت فكرة «الإمبراطورية» المبدأ المنظم لعالم الأعمال. وها هي تجارب تركيا وإيران وروسيا والصين تفسر الاستراتيجية الجيوسياسية لكل بلد. إنما التاريخ هو

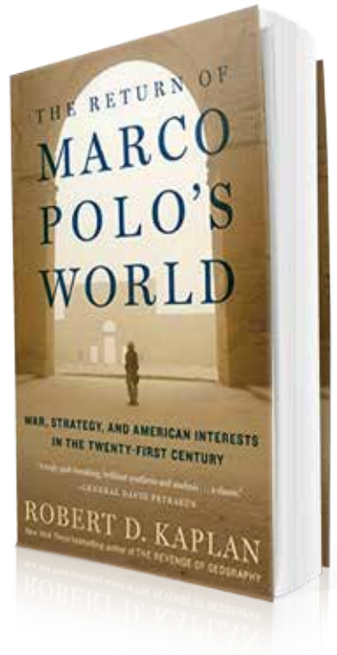

المفسر. وقد أضيف إليه التعالق بين أزمات العالم. ورغم أن الإمبراطوريات نضحت وفقد لونها بريقه القديم، فإن أهلها لا يزالون يتصرفون بوفق الروح الإمبراطورية، حتى وإن اتسعت حدود البعض وضاقت حدود الآخر. ولَئِنْ كان قد رأى أحد المفكرين الإستراتيجيين أن أقوى حجة للإمبريالية هي المبدأ القائل: «إذا أنت لم تستول على هذه الأراضي استولى عليها الأسوأ»، فإنه لهذا السبب لن تموت الإمبريالية أبد الدهر.

وعلى هذا الأساس، فإن قوى تركيا وإيران وشرق آسيا، حتى وإن كانت تعاني من بعض أنحاء الفوضى، بفضل ميراثها الإمبراطوري العتيق، أمست الدول الأكثر انسجاما في الشرق الأدنى. وقد دعمتها في ذلك الجغرافيا، هذا بينما دولة أشب كالسعودية لا ميراث إمبراطوري لها، دولة هشة. أَوَ ليس أردوغان، بنزعته التحكمية، سائر إلى احياء استراتيجية الإمبراطورية العثمانية وإلى إماتة الإستراتيجية الكمالية التي دفنت الخلافة؟ وأليست إيران تعود اليوم إلى النموذج الإمبراطوري الفارسي؟ لكن للنموذجين حدودهما: تدين النموذج التركي المتزايد، وأدلوجة إيران العقيمة. كل ذلك يجعل بعض الدول تنفض من حولهما.

وتستمر رحلة ماركو بولو الجديدة من الإمبراطوريات الناضحة الذابلة -تركيا وإيران- إلى سمعة الصين المتعاظمة أكثر من سابقتيها، بل حتى أكثر من روسيا وأمريكا. ومن يقدر على لجم روسيا، ما كان هو أمريكا وإنما الصين؛ لا سيما وأن هذه لا تسوق أيديولوجية نظامها السياسي غير الديمقراطي في دول الجوار كما تفعل أمريكا مع نموذجها الديمقراطي الكوني. إذ تتعامل مع كل الأنظمة، «الشرير» منها و«الخير»، بإحياء طريق الحرير الجديد.

٢- في ما الذي يمكن أن تفعله الولايات المتحدة الأمريكية وما الذي لا يمكنها أن تفعله؟

هو ذا عالم اليوم.. فما المقاربة التي يمكن أن تقوم بها أمريكا؟ أطروحة المؤلف بهذا الصدد: الواقعية والوظيفية. لا يمكن لأمريكا أن تتحرك في العالم بأكمله، لا يمكنها أن تعمل سلاحها في كل أنحائه. وهذا يدفع أمريكا إلى إعادة طرح السؤال: من نحن؟ ما مهمتنا؟ ما أخطاؤنا؟ ما طبيعة قوتنا؟ ما الذي يحدث في عالمنا اليوم؟

لا ينكر كابلان الصعوبات التي تعتور أرسومته «الواقعية» لعالم اليوم. ويدعونا إلى أن ننسى الثنائية بين المتشائمين الذين يتنبؤون بالفوضى، والمتفائلين الذين يبشرون بمزيد من التشابك. النزعتان معا واقعيتان ومحققتان. ولا تناقض في هذا ما أن نفكر من خارج أنموذج التقدم الخطي الذي تهوس به العقل الليبرالي. علينا أن نفكر مجددا وفق عالم ماركو بولو. فلا مكاسب بلا محاذير. وطريق الحرير ليس كله مفروشا بالحرير. هناك مشكلتان باكستان وأفغانستان ومنافسة الهند. وكل هذا يطرح تحديات على الولايات المتحدة.

وعلى الجُملة، خريطة اليوم أشبه شيء تكون بخريطة نزعة قروسطية جديدة متمحورة حول مدن-دول (أكثر منها حول دول قومية)، تحت ظل إمبراطوريات تقليدية. ونموذج وستفاليا الذي كانت فيه الولايات المتحدة تقليديا تتدخل وتتفاعل بمنتهى الراحة، صار أمرا أكثر فأكثر اندحارا. وباتت أوروبا تشكل المنصهر الذي يوجد في أتون هذه الفوضى. لكن، هل تقدر أمريكا على الحفاظ على سلاحها نظيفا؟ ها هي نخب واشنطن منشغلة بشيطنة حكام روسيا والصين، ومهتجسة بالمواجهة مع هاتين القوتين التحكميتين في مناطق عدة. لكن السؤال الذي لا تطرحه: إن فرضنا، جدلا، بداية مناوشات عنيفة مع هاتين الدولتين، كيف يمكن إنهاء حرب مع روسيا والصين؟ الأمر جلل جسيم. لن يكون العالم، بعد هذه الحرب، بالعالم الذي عهدناه قبلها. ولن يطال شؤبوبها مكانا واحدا. والعاقبة غير مأمونة. وإمكان تغيير هذين النظامين، إذا ما تم هزمهما، غير مضمون. وعلى أي، زعيما النظامين جريئان، لكنهما غير مجنونين.

وفي الجملة، ثمة تعالق بين دول تضعف وإمبراطوريات ناضحة عبر أوروآسيا. وعالم العصر الرقمي أشبه شيء يكون ببيت عنكبوت ممتد. إذا ما أنت مسست منه خيطا ارتجت الشبكة بأكملها. لنتذكر أن حرب البليبونيز القديمة قدحت زنادها شرارة صغيرة. ولهذا، ينبغي التفكير مأساويا بغاية تفادي مأساة آتية.

- الكتاب: «عودة عالم ماركو بولو».
- المؤلف: روبرت ديفيد كابلان.
- الناشر: بانغوان راندوم هاوس, 2018.
- عدد الصفحات: 304 صفحات.

* أكاديمي مغربي

علم الباطن الإسلامي لألبيرتو فينتورا

عزالدين عناية *

يحظى التصوّف الإسلامي بتقدير لافت في مجال الدراسات الغربية المعاصرة، وهو تقدير نابعٌ بالأساس من فرادة تعاليمه وممّا يطفح به نهجه من محبّة ورأفة واحتضان للخَلق أجمعين. وبوجه عام تترافق موجة الانجذاب للتقاليد الروحيّة الإسلاميّة مع هدوء نسبي في دراسات الإسلام الحديث، بعد أن خفتت موجة النظرة المتوتّرة والعُصابية، التي غالبا ما تحكّمت بمقاربة الدارس الغربي لقضايا الإسلام السياسية والتاريخية. في غمرة هذه الأجواء المتداخلة يحضر التصوّف مدخلا تصحيحيا لتلك العلاقة المأزومة جراء القلاقل السياسية. والمتابع لمسار اكتشاف العمق الروحي الإسلامي في الغرب يرصد مرور مقارَبة التصوف بعمليات تصحيح، حتى بلغ إلى ما هو عليه. نشير إلى أنّ جملة من الدراسات الغربية المبكّرة، التي انشغلت بالتصوّف الإسلامي، قد اعتبرتْ المبحثَ دخيلا عن المكوّن الحضاري الإسلامي ولا يمتّ له بصلة؛ ولكن مع تطوّر الأبحاث، تراجعت تلك الأطروحة المنكرة والجاحدة لتفسح المجال لرؤية أكثر اتّزانا.

وكتاب «علم الباطن الإسلامي» الذي نعالجه، يندرج ضمن دراسات التصوّف والروحانيات الإسلامية بشكل عام، وهو من تأليف أستاذ الدراسات الإسلامية الإيطالي ألبيرتو فينتورا (من مواليد روما ١٩٥٣). فهو في الوقت الحالي يدرّس في جامعة كالابريا، وقد سبق له أن نشر مجموعة من الأعمال في الشأن، نذكر منها: (حكمة المتصوّفة: المذاهب والرموز والباطنيات، منشورات الميديترانيه)؛ (الإسلام، مؤلّف مشترك مع خالد فؤاد علام وكلاوديو لوياكونو، منشورات لاتيرسا)، (تاريخ الحلاّج الشهيد، منشورات مورشيليانا)؛ كما نقل بعض نصوص الحلاج إلى الإيطالية بعنوان: (مسيح الإسلام، منشورات موندادوري) وترجم (ديوان الحلاج، الصادر عن دار ماريتي)، وأشرف على كتاب جماعي بعنوان: (حياة محمد وأقواله، موندادوري). وقد سلك الباحث فينتورا في سائر أعماله مسلكا متّزنا يذهب إلى أنّ التصوف الإسلامي بلغاته المتعدّدة، وبمدارسه المتنوّعة، هو نابع من عمق الفلسفة التصوريّة الإسلامية، وأنّ مقولاته ومصطلحاته ومساراته هي وليدة منهج ديني حضاري عاش في أحضان الحضارة الإسلامية وتطوّر داخلها.

جاء الكتاب بعنوان «علم الباطن الإسلامي» أو لربّما صحّ أيضا عنونته بـ«العلم الإشاري الإسلامي»، وقد حاول فيه صاحبه عرضَ بواطن فلسفة التصوف الإسلامي، وبنْية الرمزيات الدينية الإسلامية، من خلال التطرّق إلى أصولها ومبادئها الرئيسة بالشرح والتحليل. حيث وزّع المؤلّف كتابه إلى مقدّمة وخاتمة إضافة إلى تسعة معنونات تابعت قضايا الوحدة والمغايرة، والجواهر الخالدة، والمغايَرة والمشابَهة، والمادة الأولى وصورة الكون، والإنسان وعلاقته بالميتافيزيقا وغيرها من المواضيع. فعلم البواطن والأسرار والخفايا والرمزيات، على ما يرى الكاتب، هو بناءٌ رؤيويٌّ قائم الذات وفق أصول، تجد لها مشتَركا وتقارُبا مع تقاليد دينية شرقية أخرى في الهند والصين أساسا. فليس الكتاب دراسة سوسيولوجية ولا تاريخية لمبحث الرمزيات، بل هو دراسة ماهوية لتجارب تلامس مجال العرفان والتأويليات الباطنية. يحاول فيه المؤلف استدراج اللغة الصوفية القائمة على البعد التأويلي والباطني ليُقدِّم عرضا لجوهر فلسفة الباطن ودلالاتها الخفية في الإسلام.

وللذكر تجد هذه النوعية من الدراسات الباطنية هوى في الفكر الغربي الحديث والمعاصر، لا سيّما بين المولَعين بعوالم الروحانيات والأسرار، حيث التقارب بين مجالات الروحانيات والرموز والتصوّف، وهي ضربٌ من النظر يستهوي العديد في رؤية العالم والظواهر الكونية. يحاول ألبيرتو فينتورا الغوص في هذا الجانب من منظور اللغة الصوفية الإسلامية سعيًا للإمساك بالدلالات الخفية، لاسيما وأنّ موضوع التأويليات والباطن هو من المواضيع المطروقة في التقليد الصوفي.

صحيح أنّ الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي بمقولاته الفاتنة هو مصدر إغراء كبير لشرائح غربية مثقّفة تلج باب التصوف؛ ولكن تأثير الفرنسي رينيه غينو (عبدالواحد يحيى) (١٨٨٦-١٩٥١م) يبقى لافتا أيضا في المحافل الروحية الغربية. فغينو من ذلك الصنف الآسر، لا سيما في أوساط المولَعين بالمدخل الرمزي والباطني الذي يلحّ عليه المؤلف المعروض، وألبيرتو فينتورا، ضمن هذا السياق، أحد المأسورين بتلك الرؤية. نشير إلى أن نهج رينيه غينو يُعَد مؤثرا في المجال الروحي عامة، بما تخلّله من تجوال بين تقاليد روحية كونية، تراوحت بين المسيحية والهندوسية والطاوية والبوذية وغيرها، إلى أن انتهى به المطاف عند التقليد الروحي الإسلامي الذي وجد فيه ضالته اعتقادا وإيمانا. فقد سبق أن تناول المفكر غينو قضايا علم الباطن في الإسلام، وذلك في مؤلف كلاسيكي بعنوان: «كتابات حول علم الباطن الإسلامي والطاوية»، فضلا عما تطرق إليه في مجموعة كتب أخرى، لقيت صدى واسعا في أوساط المولَعين بالأسرار ودراسات الباطن، ثم تناول المسألة لاحقا الفرنسي أيضا هنري كوربان من زاوية العرفان الفارسي خاصة؛ لكن في إيطاليا تخلو المكتبة الإيطالية من كتاب في المجال، ومن هنا يُعتبر مؤلَّف الإيطالي ألبيرتو فينتورا أوّل عمل باللسان الإيطالي على صلة بثنائية التصوف والباطن.

وبموجب هذا النقص في التطرق إلى المسائل الرمزية والباطنية ضمن دراسات الظاهرة الإسلامية في إيطاليا، يُعدّ الموضوع جديدا ورياديا، ولعلّ ذلك ما جعل المؤلّف يلقى حفاوة وروّاجا سريعين، سيما وأنّ صاحبه يحظى بتقدير في أوساط الدارسين للمجال الروحي في الإسلام. والكتاب من حيث تركيزه على موضوع الباطن فيه من الطرافة والجدة، فهو دراسة تنحو للتأمل والتفكر في القضايا المعالَجة بعمق وروية، فضلا عمّا يحيل إليه من مَراجع ومَصادر. نذكر أنّ النوادي المنشغلة بالدراسات الباطنية والروحية والصوفية في إيطاليا قد احتفت بالكتاب، لما يسلّطه من ضوء في جانب معتم عن التصورات الإسلامية مقارنة بغيرها من التراثات الشرقية الأخرى. والكتاب يمكن إدراجه ضمن فلسفة التصوف عامة، وإن كان معنيا بموضوع محدد وهو مسألة التأويلات الإشارية. عموما يأتي الكتاب متسقا مع المقاربة الرمزية والروحية التي ينظر منها فينتورا إلى التراث الديني الإسلامي.

لقد كرّس ألبيرتو فينتورا مجمل أبحاثه لدراسة التصوف الإسلامي وتناول الروحانيات وأدب الأسرار، وهو مرجعٌ في إيطاليا في هذا الحقل. يأتي كتابه الذي نعالجه ضمن مجال اهتمامه العام. ولا شك أنّ دراسة التصوف الإسلامي هي إحدى التفرعات المغرية اليوم في الغرب لما تثيره من سحر وافتتان. وبوجه عام غالبا ما

ينزع دارسو التصوف منحى مغايرا لزملائهم في فروع الدراسات الإسلامية والعربية الأخرى، يتميز بالهدوء والرصانة وقلة الضجيج والإحجام عن الأحكام المسبَقة والمتنطّعة. ومن هنا يحاول فينتورا في مؤلفه الدفاع عن أطروحة أن «المظاهر الروحية الناعمة» المشوبة بالمحبّة واللّطف في التراث الصوفي الإسلامي، هي مما يعبّر عن وجه أصيل من وجوه الإسلام. لقد تميزت الرؤية المعرفية لألبيرتو فينتورا في التعاطي مع الفكر العربي ومع الأدبيات الدينية برصانة وروية، خلت من التنطّع أو الأحكام المستعجلة. فهو غالبا ما ينحو في مؤلفاته باتجاه التحليل الهادئ والموثّق. ولم يجار الادعاءات المغرضة التي تتّهم الحضارة الإسلامية، أو تلك التي تشكك في قيمة المخزون الروحي الإسلامي المنفتح على الآخر والمحتضن للمغاير، فغالبا ما سعى جاهدا في حواراته وكتاباته إلى التنبيه إلى هذا الوجه المغيَّب من الحضارة الإسلامية. وكان دائما حريصا على عرض رؤية محايدة عن الإسلام مستلهما مقوماتها من المقولات الصوفية التي يرتئي أنها الأقرب لعرض الصورة الصادقة عن الإسلام. وفي الواقع لم يكن اختيار دراسة التراث الروحي الإسلامي خيارا ظرفيّا مع فينتورا لمواجَهَة التوتّر الذي أجّجه «الإسلام الجهادي» أو «الإسلام السياسي»، في الفترة الأخيرة، وما خلّفته تلك الظواهر من أثر عميق وارتباك في انشغالات الباحثين الغربيين وعلى مواقفهم. حيث يأتي اهتمامه نابعا من شغف دفين وقديم بهذا الحقل.

نشير إلى أن فينتورا يجمع بين ضربين في هذا الحقل، فهو من ذلك الصنف المولع بالمقولات الإسلامية وبغيرها الواردة في تراثات أخرى في الشأن، وهو كذلك دارس متمعّن في تلك المجالات، ومن هنا قارَبَ التصوّف الإسلامي بأسلوب بارد واختار فيه استراتيجيا حوارية مسالمة. الأمر الذي بوّأه منزلة متقدّمة في مجال دراسة التصوف دراسة رصينة في إيطاليا، حيث يحوز تقديرا في أوساط الدارسين للظاهرة الصوفية وفي أوساط الذين يعيشون تجربة روحية من الغربيين، على حد سواء.

اعتمد ألبيرتو فينتورا في كتاب «علم الباطن الإسلامي» على ببليوغرافيا متنوعة: إيطالية وإنجليزية وفرنسية وألمانية وعربية وفارسية، حازت المراجع العربية والفارسية قسطا مهمّا. فالكتاب يكشف عن اطلاع صاحبه على أمهات كتب التصوف، إلى جانب اطلاعه على الدراسات النقدية والتحليلية المدونة في اللغات الغربية، وقد وجدت تلك المصادر والمراجع توظيفا جيدا في الكتاب. وإن كان، بوجه عام، لا يُغرق عمله في الاستشهادات والاستطرادات، لذلك تجده لا يثقل على القارئ بالمدونة الصوفية ولا يستدعي منها إلا ما اشتهر وما اقتضت الحاجة إلى ذكره. يعتمد ألبيرتو فينتورا في جلّ أعماله منهجا تحليليا في

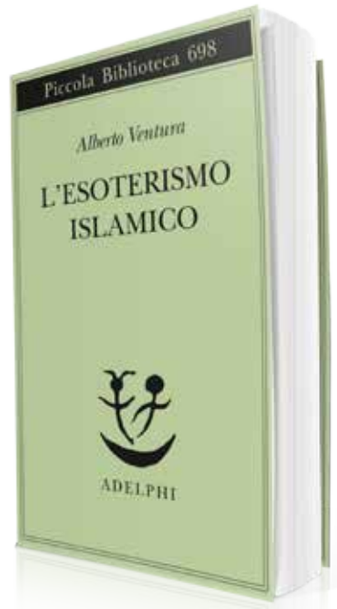

تفسير الظاهرة الصوفية. وفي كتابه الحالي ينزع إلى تبنّي منهج تحليلي فلسفي، وبموجب إلمامه الواسع بمضامين أمهات المدونات الصوفية العربية والإسلامية، ثمة قدرة لديه للتعاطي مع ما هو أصيل وما هو دخيل في التجارب الصوفية الإسلامية.

كما يتميز منهج القراءة للظاهرة الصوفية الإسلامية عند فينتورا بالإقرار بأصالة المكون الصوفي الإسلامي، فهو تعبيرة أصيلة، وفق منظوره، نابعة من روح الفلسفة الوجودية الإسلامية. إذ غالبا ما نلحظ انتزاع المظاهر الراقية في الثقافة العربية الإسلامية مع دارسين آخرين، ومحاولة إرجاع أصولها ومكوناتها إلى مصادر خارجية. وهو ما حاول فينتورا تفنيده وإبراز زيفه، عند الحديث عن مكونات التفكير الصوفي الإسلامي، باعتباره لغة روحية تستمد مقوماتها من داخل إطارها الحضاري.

لغة المؤلِّف لغة أكاديمية، وصاحبه على دراية جيّدة بالمصطلح الصوفي وباللغة الصوفية الرمزية، في اللسانين العربي والإيطالي. وعلى العموم نرصد وضوحا في لغة الكاتب، كما أنه يتفادى التجريد والغموض في حديثه، بل يحاول عرض المفاهيم والأفكار التي يدور حولها البحث في لغة واضحة وراقية. إذ تأتي لغة المؤلف تفسيرية للمقول الصوفي بمختلف دلالاته، محاولا الكاتب تقريب المعاني من ذهن القارئ الغربي، وقد يسّر له ذلك تمكّنه وإلمامه بمفاهيم الحقل الدلالي الصوفي في اللغتين العربية والإيطالية، وهي قدرة قلّما توفرت للباحثين الإيطاليين الذين يقاربون القضايا العربية لتدنّي تكوينهم في العربية.

لم يتضمّن الكتاب فهارس من أيّ نوع كان، سوى فهرس يتيم لمواد الكتاب وهامش في آخر المؤلف، تعلّق بالمصادر العربية والفارسية، تناول بالأساس بعض الكتّاب العرب والفرس وأعمالهم، ممّن استعان بهم المؤلف في تدبيج كتابه. كما لم يعتمد الكاتب الرسوم والجداول والخرائط كوسائل لإيضاح مضامين البحث، ولعلّ ذلك عائد إلى أنّ المؤلف ذو صبغة فكرية تحليلية ورمزية، وهو ما جعل صاحبه يعتمد اعتمادا رئيسا على شرح المفاهيم ونقدها وإرجاعها إلى أصولها دون العناية بالوسائل الإضافية.

يخاطب الكتاب قارئا ملمّا بخبايا النص الصوفي وبالمقولات الروحية الباطنية، وهو فضلا عن كونه نصا خارجيا في دراسة الظاهرة الصوفية، فإنّ مؤلفه يبدو ملمّا أيضا بأحوال التصوف ومدارجه، يكشف من خلاله عن عيش تجربة صوفية مشفوعة بمعرفة علمية خارجية.

يبقى أن نشير إلى بعض القضايا، فقد يتساءل المرء عن دواعي الانجذاب للتصوّف والتجارب الروحية في الغرب في العقود الأخيرة. لتحضر الإجابة الفورية عن تخمة الغرب المادية وبحثه الدؤوب عن شيء مما يداوي به روحه من الشرق. لعل ذلك تبسيط مخاتل للأمور؛ فالواقع أنّ في الغرب ثمة مراجعات عميقة متوالية تستند إلى تفكيك وتركيب دائمين، وهو ما يدفع للإصغاء إلى صوت الآخر وتجاربه، ولا بأس إن كان حتى بتحويلها إلى مادة استهلاكية مدفوعة الأجرة في نوادي الرياضة الروحية واليوغا والتأمل والاستبطان، كما يجري مع البوذية التي تشهد تطورا لافتا في العديد من المجتمعات الغربية.

كما نودّ أن نشير من جانب آخر إلى أنّ الساحة الثقافية الغربية في السنوات الأخيرة، قد شهدت العديد من الإنجازات والأبحاث القيمة في مجال دراسة التصوف، بَيْد أنّ جل تلك الأعمال قد ظلّت حبيسة اللغات الغربية لغياب الاهتمام العربي بالترجمة في هذا الجانب، سيما وأنّ ما يميز تلك الدراسات في المجال وهو اعتماد مناهج مقاربة مغايرة، مثل علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي وأنثروبولوجيا الأديان وعلم الاجتماع الديني وغيرها من العلوم، مما يفتقد إليها الدارس العربي أو يأتي باهتا لديه.

- الكتاب: علم الباطن الإسلامي.
- تأليف: ألبيرتو فينتورا.
- الناشر: منشورات أديلفي، (ميلانو) «باللغة الإيطالية».
- سنة النشر: 2019.
- عدد الصفحات: 212 صفحة.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا

الاحتياجات الاصطناعية وكيفية الخروج من النزعة الاستهلاكية لرازميج كوشيان

سعيد بوكرامي *

شهدنا منذ بداية الثورة الصناعية أن الرأسمالية تسعى دائمًا إلى توليد احتياجات مصطنعة جديدة. الشخص الذي يشتري آخر مخترع تكنولوجي، على سبيل المثال، أو يتنقل بالطائرة إلى المدينة المجاورة، أو يجهز بيته بمستلزمات جديدة... هذه الاحتياجات الاصطناعية المتزايدة لا تستعبد الإنسان المُعاصر فقط، لكنها تضر بالبيئة ضررا بليغا. إن انتشارها هو الأساس الذي تقوم عليه النزعة الاستهلاكية، والذي بدوره يؤدي إلى تفاقم مستمر للموارد الطبيعية مما يساعد على التلوث في أرجاء الأرض. في عصر منصات المتاجر مثل (أمازون)، وصلت النزعة الاستهلاكية إلى «المرحلة القصوى». لهذا يثير هذا الكتاب الهام سؤالًا إشكاليا: كيف يمكن تقليص هذا الانتشار للاحتياجات الاصطناعية؟ كيف يمكن الخروج من النزعة الاستهلاكية الرأسمالية؟ يعتمد التفكير في هذا الموضوع المهم والجديد على فصول موضوعاتية، مكرسة للتلوث الضوئي، والتحليل النفسي للاستهلاك القهري أو ضمانة السلع، من أجل تطوير نظرية نقدية للاستهلاك. فهي تجعل الاحتياجات «الأصيلة» محددة بشكل جماعي، منفصلة عن الاحتياجات المصطنعة، وتدخل في صلب سياسة التحرر في القرن الحادي والعشرين.

على طول مظان الكتاب، يستحضر الكاتب نظرية الاحتياجات لدى كارل ماركس وأندريه غورز وأجنيس هيلر. بالنسبة لهؤلاء المفكرين، فإنَّ الاحتياجات «الأصيلة» لها إمكانات ثورية. كما قال ماركس، «الثورة الراديكالية لا يمكن إلا أن تكون ثورة للاحتياجات الراديكالية». كيف يمكن، إذن، الخروج من النزعة الاستهلاكية؟ في وقت الطوارئ البيئية، يبدو السؤال أكثر أهمية من أي وقت مضى حيث إن الإنتاج الثابت وغير المقيد للبضائع يؤثر بشكل مباشر على الصحة وبالتالي على بيئة كوكبنا ومصيره. ومع ذلك، فهي قضية حساسة ومعقدة، لأن النزعة الاستهلاكية ونظيرتها في الإنتاجية هما في صميم النموذج الرأسمالي الذي بنيت حوله مجتمعاتنا منذ قرنين على الأقل. لذلك، فإن مواجهة هذه المشكلة الجوهرية، في مائتي صفحة فقط، يبدو مشروعا كبيرا وطموحا. غير أن، هذا التحدي ما يصبو إليه عالم الاجتماع رازميج كوشيان في هذا الكتاب، حيث يعتزم اقتراح طرق ملموسة للخروج من النزعة الاستهلاكية.

معلوم أن رازميج اشتهر بعمله حول غرامشي وكذلك بتحديده خرائط التفكير النقدي الجديد، كما قام أستاذ علم الاجتماع بجامعة بوردو، في آخر أعماله، بمواجهة بين الإيكولوجيا السياسية والفكر الماركسي، وبذلك يعد واحدا من أهم المتخصصين والممثلين له في فرنسا. وفي هذا الصدد أيضًا، يدرس الآن، مشكلة الاستهلاك، أو بمعنى أدق يدرس احتياجاتنا ومسألة الإشباع في النظام الرأسمالي الحالي. للإجابة على سؤاله، يعكف كوشيان أولاً على موضوع الظلام الليلي. بحيث يذكرنا في مقدمته، أننا فقدنا الليل فعلاً، ومعه التجربة الذاتية والكونية لتأمل النجوم، وقد حدث هذا الانفصال عن الطبيعة الأم بسبب التطور الهائل للإضاءة الحضرية المستمرة. «الظلام الآن ثروة نادرة» (ص ١٨-١٩)، ويلاحظ أن الموضوع أصبح مطلبا سياسيا واجتماعيا؛ إذ صار من الضروري الآن أن ندفع الثمن، بطريقة أو بأخرى، لتلبية حاجة كانت مجانية سابقًا وهي أن تكون قادرًا على تأمل السماء المرصعة بالنجوم. ومن هنا، إذا أصبحت الإضاءة الاصطناعية حاجة مشروعة في أنماط حياتنا الحالية، فإنها أصل التلوث الكبير الذي يؤثر بشكل مباشر على التوازن البيولوجي للكائنات الحية ويميل إلى إزالة ما كان ذات يوم حاجة أنثروبولوجية أساسية، كتأمل السماء ليلاً. هذا المثال غير المتوقع يطرح ببراعة المشكلة التي سيدور حولها تفكير كوشيان: كيف يمكن التمييز بين الاحتياجات الضرورية وتلك التي لا لزوم لها، هل من أجل الخروج من انتشار وهيمنة الاحتياجات المصطنعة التي أنشأتها رأسمالية الاستهلاك؟

للإجابة على هذا السؤال، يحاول عالم الاجتماع أولاً تأسيس نظرية نقدية للاحتياجات الإنسانية. انطلاقًا من النظرية الماركسية للاحتياجات التي طورها أندريه غورز وأجنيس هيلر، بحيث قام بشرح مبادئها وتحديد أسسها في الفصل الأول. أما في الفصل الثاني، فيقترح على الإنسان أن يتكيف مع عصره حيث الرأسمالية المعولمة تهيمن والأزمة البيئية المُتنامية تهدد مستقبله. لتحقيق ذلك، يجب اعتماد مفهوم الحرمان، الذي وضعه ونظّر له المحلل النفسي دونالد وينكوت. وحسب المؤلف، فإنَّ الحرمان يُميز في أفضل الأحوال حالة احتياجاتنا داخل هذه الرأسمالية المعاصرة، والتي تربط بالحياة نفسها (الحيوية البيولوجية) والبيولوجية والاجتماعية والشخصية، كما هو الحال في جميع مجالات الحياة ولذلك على العالم نفسه (العالم الرأسمالي) أن يعيش تجربة الحرمان، والابتعاد عن عدم الرضا البسيط بالحاجة،لأنَّ الحرمان يؤدي إلى فقدان إشباع الحاجة، التي كانت متخمة سابقًا. هذا هو المثال المقترح في مقدمة الليلة المرصعة بالنجوم والتي لم يعد بإمكان الإنسان المعاصر تأملها، كما لم يعد قادرا على تلبية حاجته، فيشعر بعدم وجود حاجة يمكنه من خلالها الاستجابة بسهولة. وهكذا يميز الحرمان، حسب كوشيان، الاغتراب الذي يميّز الرأسمالية المعاصرة. لحسن الحظ، ينفذ النظام بشكل جيد ويقدم النزعة الاستهلاكية كهدية لخصوصياتنا المغتربة مادام يضمن صناعة احتياجاتنا المصطنعة طبعا، ولكن من يمكن بسهولة وبسرعة تلبية احتياجاته من البضائع. إن ظاهرة الاعتماد على الاستهلاك، والتي يتناولها الفصل الثالث من الكتاب، تشهد على هذا الواقع. لكن ما الذي يجب فعله للخروج من هذه الحلقة المفرغة من النزعة الاستهلاكية والاغتراب الرأسمالي؟

أحد الحلول التي اقترحها كوشيان- وهذا هو موضوع الفصل الرابع الطويل - هو تمديد الضمان القانوني على البضائع لفترة طويلة، وكذلك على الأشياء التي لم تتم تغطيتها بالضمان حاليًا، مثل البضائع شبه الدائمة مثل (الملابس، والأحذية، وبعض الأثاث، إلخ).

في الواقع، فإن هذا الامتداد المزدوج، يدعو المستهلكين خاصة إلى إصلاح أغراضهم بدلاً من تغييرها وشراء غيرها، ويهدف هذا المخطط إلى محاربة التقادم المخطط له طرف الإنتاجية الرأسمالية الاستهلاكية التي تقلص الصلاحية على المدى الطويل، وبذلك فإن المنتج الصناعي سيضطر إلى صناعة سلع أكثر متانة، لكن لتحقيق تقدم لا بد من إحياء مراكز الإصلاح (أو ما يسمى الآن «ورشات تدوير الموارد»)، مما سيساعد على توفير مناصب عمل جديدة وإنتاجية جديدة. وبذلك يستنتج كوشيان أن «من الضروري، توسيع معارضة راديكالية للرأسمالية لتشمل الأشياء أيضا» (ص ١٣٧)، وبالتالي إنتاج ما يسمى بالسلع «المحررة»، ويقصد عالم الاجتماع في الفصل الخامس، البضائع التي تتميز بالمتانة، ولها قابلية للتفكيك، والتبادل والتطور. وبهذه الطريقة فقط يمكن إحداث انقلاب، لصالح الأولى، مع توازن القوى بين قيمة الاستخدام وقيمة التبادل. مما سيساعد على جعل الرفاهية في متناول الجميع، ليس عن طريق إضفاء الطابع الديمقراطي على المنتجات الأكثر غلاء، ولكن عن طريق الوصول الطبيعي إلى السلع الفريدة والجميلة في آن واحد، وخاصة ما لا يمكن اختزاله في وظيفة ذات منفعة. في الفصلين الأخيرين من الكتاب يقدم الكاتب إستراتيجية إنشاء هذه البنية التحتية للمساواة التي تدعم ظهور حضارة مادية متحررة من إنتاجية الرأسمالية والاستهلاكية. في البداية، يؤكد كوشيان أن من الضروري وضع سياسة للاحتياجات (الفصل ٦)، أي بناء العمل السياسي والممارسة على النظرية النقدية للاحتياجات المحددة في الفصول الأولى من الكتاب. للقيام بذلك، يقترح عالم الاجتماع النظر في إنشاء تحالفات جديدة بين الحركة البيئية والحركة العمالية، عن طريق تطعيم النقابات التقليدية بنشطاء بيئيين، ولكن أيضًا عن طريق تحسيس وتوعية الحركات البيئية بالقضايا الطبقية الملازمة لنضالها. كما يؤكد على الحاجة (مرة أخرى) إلى دمج المنتجين والمستهلكين في حركة مشتركة. ولهذا، فإن تعبئة العاملين في مجال اللوجستيك أمر ضروري، لأنهم هم اليوم من يشكلون الواجهة الرئيسية بين المنتجين والمستهلكين والطبقة العاملة الجديدة المستغلة والتي ما زالت قليلة النضال العمالي. أما في الفصل السابع يصرح كوشيان أنه أصبح من اللازم بناء ديمقراطية إيكولوجية، لا سيما عن طريق غرس السياسة

الإيكولوجية في سيناريوهات التحول، بالنسبة للعديد من التقنوقراطيين، الذين يقدمون اليوم سيناريوهات تابثة وفق إملاءات الرأسمالية. تتمثل إحدى طرق هذا التحول الديمقراطي في التحول الإيكولوجي في بدء المناقشات والمداولات الجماعية بشأن الاحتياجات وبشكل خاص التمييز بين الاحتياجات الحقيقية والاحتياجات الزائدة عن الحاجة. لذلك، يجب حسب كيشيان اختراع أشكال جديدة من أنماط العيش والتعبير عن الرأي المغاير، والتي تستحوذ، على المشكلة المركزية للاستهلاكية والإنتاجية، عكس الدفاتر البيئية لـ برونو لاتور أو جمعية المستقبل التي اقترحها الفيلسوف دومينيك بورغ. بالنسبة لعالم الاجتماع كوشيان، فإن الحركة البلدية التحررية للمفكر موراي بوكشين أو المجالس العمالية في الثورة الروسية تظهر كأمثلة ملهمة للتفكير، على سبيل المثال، فإن إنشاء جمعيات المنتجين والمستهلكين تضمن قدوم وبروز وحضور، مجتمع ما بعد الرأسمالي.

في نهاية هذا الكتاب، يمكن للمرء في النهاية أن يتساءل عما إذا كانت مقترحات كوشيان محفزة، خاصةً وأنها بالنسبة لكثيرين جداً أفكارا عملية وإجرائية، لكن من الواضح أن عالم الاجتماع يبذل مجهودا كبيرا لإقناع القارئ المعاصر المشبع برغبة الاستهلاك ومتعة الشراء. يجب أن نقول إن الوحدة الحجاجية للكتاب غالباً ما تترك القارئ متحفزا لمعرفة المزيد. ويبدو كذلك أن الفصول قد تمت كتابتها بشكل مستقل عن بعضها البعض، دون الاهتمام بتماسك الحجة الشاملة، مما انعكس على وحدة توسيع التحليل لكن لم يهلهل وحدة الموضوع، الذي حافظ على نسيجه المتماسك منذ أطروحة المقدمة وتعاقب الفصول إلى أن سعى كوشيان إلى طرح وتطوير عناصر موضوعه محافظا على تماسك فكري للموضوع. ومع ذلك تبقى الحجة مجزأة وفي النهاية غامضة، سواء على نطاق الكتاب بأكمله، أو في فصول معينة. وهذا يخلف انطباعا غير مريح أثناء قراءة بعض النصوص التي تبحث في موضوع راهن وحساس، لكنه لا يستند إلى مرجعية متينة وحديثة كما أن تركيز الكاتب على المرجعية الماركسية فيه نوع من المخاطرة العلمية. وكأن الغرض من هذا الكتاب في النهاية هو: التذكير بأهمية البيان الماركسي في أوقات الأزمات البيئية، ولعل هذا الانزياح ما جعل الكتاب يبقى مجرد صرخة تنبيه وبيانا احتجاجيا وليس مشروعا نظريا لتجاوز النزعة الاستهلاكية التي تؤججها الرأسمالية. يتعزز هذا الانطباع لدى القارئ في الفصل الأخير الذي، بدلاً من الاستنتاج الذي كان يمكن أن يلتقط العناصر الرئيسية وربما ينسج منها ربطا محكما للخيوط الجدلية يشدد الكاتب على الحاجة إلى الجمع بين النظريات الماركسية للاحتياجات عند (غورز وهيلر) وبين نظريات (غرامشي وبولانتزاس) عن تحولات الدولة، ولكن سيكون من الحيف التقليل من منجز الكتاب وطموح مؤلفه. بعيدا عن نقص الحجة والانسجام العام للكتاب، يجب تقدير أهمية تحليله للنزعة الاستهلاكية المعاصرة، وكذلك أصالة المقترحات المقدمة، سواء كانت نظرية أم مقترحات عملية، مثل استخدام مفهوم الوينكوتي للتفكير في الاغتراب الرأسمالي المعاصر، أو في الممارسات العملية، مثل تمديد الضمان، والذي يمكن أن يحقق مجتمعا استهلاكيا عقلانيا ومتحررا.

- الكتاب: الاحتياجات الاصطناعية وكيفية الخروج من النزعة الاستهلاكية
- المؤلف: رازميج كوشيان
- الناشر: دار لاديكوفيرت.فرنسا
- تاريخ النشر: 2019
- عدد الصفحات: 202 صفحة
- اللغة: الفرنسية.

* كاتب مغربي

الركن الثالث: كيف تتخلى الدولةُ والأسواق عن المجتمع لراغورام راجان

محمد السالمي *

تقوم الأمَمُ على ثلاث ركائز أساسية ألا وهي الدولة والأسواق والمُجتمعات، فكل واحدة من هذه الركائز لها دورها الخاص؛ حيث تضمن الدولة القانون والنظام بالإضافة إلى توفير البنية التحتية التي تجعل الحياة الاجتماعية مُمكنة. في المقابل، توفر الأسواق منفذاً للإبداع وخلق الثروة. وأخيرًا، تخلق المجتمعات إحساسًا بالتعلق والهوية والتضامن. تستطيع المجتمعات خلق الظروف الملائمة للازدهار البشري عندما تكون كل هذه العناصر الثلاثة قوية بنفس القدر، بحيث تظهر كدعامة واحدة ويبدأ الهيكل بأكمله في الظهور. كان هذا التوازن بعيد المنال تاريخيا. كانت مجتمعات العصور الوسطى، مجتمعات قوية لكنها تفتقر إلى كل من الدولة والأسواق. ومن ناحية أخرى، كان لدى الدول التجارية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أسواق مزدهرة، لكنها كانت تفتقر بشدة إلى دولة قادرة على خلق ملعب متكافئ.

اليوم، وبعد فشل النماذج التي تقودها الدولة، والتي حققت نموًّا غير مسبوق في أعقاب الحرب العالمية الثانية، حاولت المجتمعات الغربية بناء نظام جديد أكد على الكفاءة وجني الأرباح. والنتيجة؟ فإن نسبة اللامساواة في تزايد، مما يخلق طبقة مستاءة وسيئة التجهيز للتعامل مع تحديات العولمة. وقد أدى ذلك بدوره إلى تأجيج مناهضة المؤسسة والتي يقوم بها الشعبويون اليوم.

غالبًا ما يفهم الاقتصاديون مجالهم باعتباره العلاقة بين السوق والحكومة ويتركون القضايا الاجتماعية لأشخاص آخرين. هذا توجه خطير كما يؤكده الكاتب. فجميع الاقتصاديات هي في الواقع اقتصاديات اجتماعية، وكل الأسواق مدمجة في شبكة من العلاقات الإنسانية والقيم والمعايير. يحاول راغورام راجان في كتابه الأخير «الركن الثالث»، تجاوز التحذير من مخاطر الرأسمالية غير المقيدة وتأكيد ما يمكن القيام به لإصلاحها. يقترح راجان استعادة الركن الثالث ألا وهو المجتمع. لا ريب، أن الأسواق والدولة لا غنى عنهما، ولكن عندما تكون أركان المجتمع الثلاثة متوازنة بشكل مناسب، سيتمتع المجتمع بأفضل فرصة لتوفير موارد لشعبه، وخاصةً أولئك الذين يخسرون من آثار التجارة والتكنولوجيا.

وللتعريف بالمؤلف، فإنَّ راجان هو أستاذ الشؤون المالية في كلية بوث لإدارة الأعمال بجامعة شيكاغو. وكان الدكتور راجان كبير الاقتصاديين ومدير الأبحاث في صندوق النقد الدولي من ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٦. وقد شغل منصب رئيس البنك الاحتياطي الهندي بين عامي ٢٠١٣ و ٢٠١٦، كما شغل منصب نائب رئيس مجلس إدارة بنك التسويات الدولية بين عامي ٢٠١٥ و ٢٠١٦. لدى راغورام راجان العديد من المؤلفات و الدارسات المميزة.

تطرق المؤلف في هذا الكتاب للعديد من المواضيع، أبرزها كيف حلت الدولة القومية محل النظام الاجتماعي في العصور الوسطى، ولماذا سيتعين على الصين إعادة النظر في نموذجها الاقتصادي الحالي، بالإضافة إلى التركيبة الاقتصادية للهند. ففي العصور الوسطى في أوروبا، كانت الأسر النبيلة الرائدة تتمتع بحكم ذاتي على ممتلكاتها. كما تعهد الفلاحون بالولاء لأسيادهم ودفع الضرائب. في المقابل، سُمح لهم بالعمل في جزء من أرضهم. ومن هنا، استطاع اللوردات حسم النزاعات بين المستأجرين ورأوا أن العدالة قد تمت. تم تداول السلع المنتجة في هذه العقارات داخليا وليس تصديرها. وبشكل عام، كان ترتيبًا اجتماعيًا تهيمن عليه دعامة المجتمع. في القرن الخامس عشر، أزعجت التطورات التكنولوجية هذا النظام الاجتماعي. حيث غيّرت الابتكارات العسكرية قواعد اللعبة. إذا كنت تريد البقاء على قيد الحياة، فأنت بحاجة إلى ما يكفي من المال لتمويل جيش كبير وهياكل دفاعية. لا تملك القصور الصغيرة الوسائل للقيام بذلك، لذا بدأ الحكام المغامرون في الجمع بين ممتلكاتهم. وبحلول نهاية القرن، كان عدد الكيانات ذات السيادة في أوروبا قد انخفض بشكل كبير. كانت هذه بداية عهد جديد، عصر الدول القومية. أصبحت هذه الدول الجديدة في نهاية المطاف قوية لدرجة أنها كسفت الكنيسة.

استمر العصر الذهبي للدولة منذ توطيد الدول القومية في نهاية القرن الخامس عشر حتى أواخر القرن السادس عشر. عندها ظهر منافس جديد لتحدي قوتهم ألا وهو السوق. الأرض غير المنتجة التي كانت مملوكة من قبل الأرستقراطية والكنيسة سقطت تدريجيا في أيدي طبقة النبلاء ذوي التفكير التجاري. كان الملوك سعداء بهذا التطور، فكلما زاد ثراء طبقة النبلاء، ارتفعت إيراداتهم الضريبية. لكن هذه الطبقة الجديدة انتزعت سعرها الخاص أيضا عن طريق توسع نطاق الحرية. واحدة من أهم اللحظات في هذه العلاقة المتغيرة جاءت في عام ١٦٨٨، عندما خلع البرلمانيون الإنجليز الملك جيمس الثاني واستبدلوه بملك أكثر مرونة، وليام أوف أورانج، أصبح هذا الحدث المعروف باسم الثورة المجيدة، بعد تحريرها من أفراد العائلة المالكة، ازدهرت طبقة النبلاء. مع انحسار الدولة، أصبحت دعامة السوق أساسية في حياة الدول الأوروبية. غنى الفلاسفة في مدح السوق. أبرزهم آدم سميث الذي أكد عام ١٧٧٦ في كتابه «ثروات الأمم»، على سبيل المثال، بأن «اليد الخفية» للأسواق التنافسية أسهمت في ازدهار الدول.

يشير الكاتب إلى أن ركيزة السوق الحرة صمدت على الرغم من أن الحجج المؤيدة لتنظيم أكثر صرامة أصبحت أكثر شيوعًا، ولكن في أعقاب انهيار سوق الأسهم في عام ١٩٢٩ «الكساد العظيم» تغير الوضع. كما شهدت العقود الثلاثة الأولى بعد انتهاء الحرب فترة من النمو غير المسبوق. نما متوسط الدخل الحقيقي للفرد بمتوسط ٥٪ في أوروبا الغربية. سمح هذا الازدهار الجديد للحكومات بتقديم وعود كبيرة للناخبين. لنأخذ بريطانيا، في عام ١٩٤٦، أنشأت الحكومة الخدمة الصحية الوطنية، وهي نظام عالمي للرعاية الصحية لا يزال يوفر تغطية لمواطني المملكة المتحدة إلى اليوم. كما أن الهجرة تسارعت بشكل كبير في أوروبا نتيجة نقص القوى العاملة بسبب الحرب. لكن سرعان ما بدأت المشاكل بالظهور، وبحلول الستينيات زاد العجز الحكومي حيث فاقت التزاماتها في الإنفاق نمو الناتج المحلي الإجمالي. ومع تباطؤ الاقتصاد، بدأت معدلات البطالة والتضخم في الارتفاع. في المملكة المتحدة، شنت مارجريت تاتشر حربًا شاقة ولكنها ناجحة في نهاية المطاف لمدة عام ضد عمال مناجم الفحم المضربين، وأغلقت أغلب المناجم.

إن التوسع في الأسواق منذ الثمانينيات وما بعده يعني أن تعظيم قيمة المساهمين يحل تدريجياً عن الأهداف الأخرى. في الستينيات، كان من المتوقع أن تساهم الشركات الكبيرة في المجتمع ككل. بعد عقد من الزمان، سقطت وجهة النظر هذه في حالة من عدم الرضا، حيث جادل الاقتصاديون المؤثرون مثل ميلتون فريدمان بأن «المسؤولية الاجتماعية» الوحيدة للشركات هي زيادة أرباحها.كانت حجة فريدمان بسيطة. إذا ركز المديرون

على زيادة الأرباح وقيمة أسهم المساهمين، فإن شركاتهم سوف تنجو وستساهم بشكل أكبر في المجتمع على المدى الطويل. لكنها أدت في نهاية المطاف إلى زيادة عدم المساواة في الأجور.

في الوقت الحاضر، ومع التطور التكنولوجي، فإن أسواق العمل ككل تتزعزع بسبب التكنولوجيا الجديدة. هذا يؤثر بطريقتين، حيث يتم القضاء على الوظائف الثابتة في حين يتم توفير وظائف جديدة. ولكن هنا تكمن المشكلة: هناك فجوة كبيرة بين الفائزين والخاسرين في مثل هذا التغيير. وهذا يعني فقدان الوظائف للعاملين الأقل مهارة، ولكنه أيضًا يخلق وظائف جديدة متخصصة للمتخصصين القادرين على الإشراف على العمليات الآلية وتصحيح الأخطاء. الأشخاص الذين سيشغلون هذه المناصب هم من المتعلمين تعليماً عالياً. هذه ليست مجرد قضية تؤثر على العمال الأقل مهارة، ولكن حتى العمال ذوي التعليم الجيد في البلدان المتقدمة عليهم التنافس مع المنافسين الأجانب المجهزين تجهيزًا أفضل من أي وقت مضى. الاستعانة بمصادر خارجية تعني أن الشركات يمكنها نقل المهام إلى القوى العاملة المتعلمة حديثًا في البلدان النامية التي يمكنها القيام بنفس العمل مقابل جزء بسيط من التكلفة. وفي الولايات المتحدة، كان الاعتقاد بأن إصلاحات الرعاية الصحية للديمقراطيين «أوباما كير» كانت بمثابة نشرة للأقليات وتجاهل مصالح الأسر المعيشية التي تدفع الضرائب، مما أدى إلى إنشاء جماعة مناهضة له. في أوروبا، كانت أزمة الهجرة في عام ٢٠١٥ أدت إلى رد فعل شعبي. بعد أن قبلت ألمانيا أكثر من مليون لاجئ من البلدان التي مزقتها الحرب، استهدف الناخبون الذين يساورهم القلق بشأن ثقافتهم وأنظمتهم الاجتماعية في الاتحاد الأوروبي. وفي المملكة المتحدة، تغذت هذه المشاعر في قرار مغادرة الاتحاد الأوروبي في عام ٢٠١٦. كل ذلك أدى إلى صعود الزعماء الشعبويين الذين يستغلون الاستياء الذي تلا ذلك، حيث يمثل دونالد ترامب أبرز الأمثلة.

لا يمكن فصل مستقبل الدول المتقدمة عن مستقبل الدول الناشئة. سواء أكان الأمر يتعلق بالهجرة أو تصدير السلع والاستثمارات عالية التقنية، فإن مصير كلتا المجموعتين من الدول مترابط. هذا شيء يجب أن تأخذه عملية وضع السياسات في الدول الناشئة بعين الاعتبار. تطرق المؤلف في هذا السياق لدراسة حالة الصين والهند.

إنَّ المكاسب الاقتصادية التي حققتها الصين مؤخراً مثيرة للإعجاب. فبين عامي ١٩٨٠ و٢٠١٥، بلغ متوسط نمو الناتج المحلي الإجمالي السنوي في البلاد ٨,٧ ٪ سنويا. كان هذا التوسع مدفوعًا من الشركات الرئيسية المملوكة للدولة. مُنحت هذه الشركات إمكانية الحصول على قروض رخيصة مضمونة ومدخلات مدعومة مثل الصلب من قبل الحكومة .

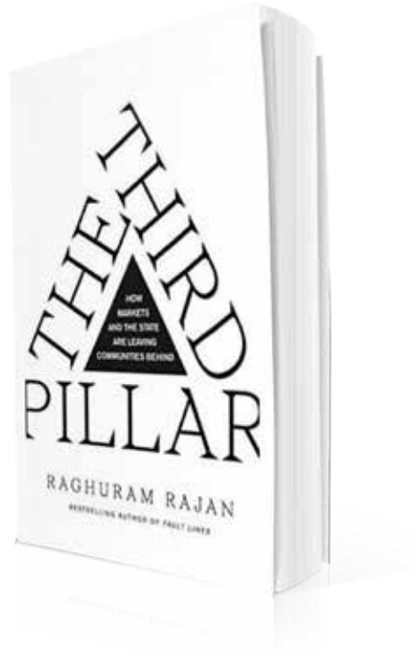

التحولات الأخيرة في الأسواق العالمية والعودة إلى الحمائية تعني أن الشركات الأجنبية لم تعد مهتمة بالاستثمار في أسواق الإنتاج الصينية للتصدير إلى أجزاء أخرى من العالم. بدلاً من ذلك، يركزون على بيع سلعهم في السوق الاستهلاكية المزدهر في الصين كون عدد السكان يفوق المليار. ويعني هذا بدوره أن النمو المستقبلي للصين يجب أن يكون محليًا، وهو شيء لن تتمكن من تحقيقه إلا إذا تم إلغاء هذا النوع من التدابير المشوهة للسوق، والتي كانت تُستخدم سابقًا لمنح الشركات المملوكة للدولة ميزة مصطنعة. هل تستطيع الصين تحرير أسواقها مع الحفاظ على سيطرة الحزب المركزية؟ هذا هو السؤال الكبير الذي يواجه الصين كما يشير الكاتب.

أما من ناحية الهند، فهي لديها ديمقراطية واسعة حيث يبلغ عدد سكانها مليار نسمة، مع ٢٢ لغة رسمية ونحو ٧٠٠ لهجة. أكبر الهواجس و التحديات هي «الفساد». حتى الآن لم يعيق هذا النمو الاقتصادي. على مدى السنوات الـ ٢٥ الماضية، بلغ متوسط نمو الناتج المحلي الإجمالي السنوي في الهند ٧,٠ في المائة. لكنها تقوض الديمقراطية.

في أوائل العقد الأول من القرن العشرين، على سبيل المثال، تم الكشف عن أن المسؤولين الحكوميين كانوا يبيعون أصول الدولة، بما في ذلك رواسب الأرض والمعادن، إلى أصدقائهم بأسعار مخفضة. هذا يدل على تشابك الدولة والأسواق. إذا أرادت الهند أن تزدهر، فسوف تحتاج إلى قطع هذه الروابط وتعزيز القطاع خاص ليكون أكثر استقلالية.ولكن هنا تكمن المشكلة، حيث يهدد صعود الشعوبية الهندوسية التي تعد باستخدام الدولة لحماية الهوية الهندوسية تهديدا لباقي الأقليات.

كما رأينا، فإن الركائز الثلاث لاقتصاداتنا الدولة والسوق والمجتمع هي غير متوازنة. تزعم الشعبوية أنها تقدم حلاً للمشاكل التي تسببها هذه الاختلالات. فمن ناحية، تعد بإحياء شعور المجتمع بالمجتمع من خلال تعزيز الهوية الوطنية على أسس عرقية وطبقية. لكن المثل الأعلى للقومية المدعومة من الدولة لا تملك الأجوبة على المشكلات المعقدة التي تطرحها العولمة والابتكار التكنولوجي. ما نحتاجه هو التوصل إلى حل يوازن بين الركائز الثلاث للحياة الاجتماعية الدولة والأسواق والمجتمعات. أفضل خيار لدينا لمواءمة هذه الركائز الثلاث هو الشمولية المحلية كما يشير الكاتب.

قام المؤلف بتقديم العديد من التوصيات في هذا الجانب. أفضل مكان للبدء عندما يتعلق الأمر بالأدوار التنظيمية للدولة هو إصلاح قوانين حقوق البيانات. خذ منصات التجارة الإلكترونية مثل علي بابا والأمازون. تطور هذه المنصات احتكارًا لمعاملات المستخدمين وتاريخهم الائتماني. ولكن يجب منح الأفراد ملكية بياناتهم الخاصة وسمح لهم بتحديد من يشاركونها على الصعيد الدولي، كما تحتاج الدول إلى إيجاد التوازن الصحيح بين التجارة العالمية والسيادة الوطنية. إن الحفاظ على الرسوم الجمركية منخفضة قدر الإمكان، على الأقل بالنسبة للسلع والخدمات، هو في مصلحة الجميع. ومع ذلك، ينبغي على الحكومات مقاومة الرغبة في التوفيق بين الحواجز غير التعريفية مثل اللوائح ومعايير السلامة إذا كانت تريد حماية التنوع والسيادة الوطنية.كما ينبغي أن تكون التجارة المالية خاضعة للتنظيم بشكل أكثر صرامة. الأمر نفسه ينطبق على تدفق المعلومات، في عصر تتزايد فيه الجرائم الإلكترونية والتدخل في وسائل التواصل الاجتماعي. بالإضافة، يجب على الدول ممارسة السيادة الكاملة على القضايا المحلية مثل السياسة النقدية.

يقدم الكتاب بعداً جوهريا في الاقتصاد، وذالك عبر التركيز على دور المجتمع وعدم تجاهله. قوة مؤسسات الدولة و السوق وحدها لا تكفي في دعم الرفاه الاجتماعي. حاز الكتاب على إشادة النقاد و تم تصنيفه ضمن أفضل الكتب الاقتصادية لعام ٢٠١٩ حسب الفايننشال تايمز.

- الكتاب: الركن الثالث: كيف تتخلى الدولةُ والأسواقُ عن المجتمع
- المؤلف: راغورام راجان
- الناشر: Penguin Press
- عدد الصفحات: 464 صفحة
- سنة النشر: 2019
- اللغة: الإنجليزية

* كاتب عُماني

تاريخ السينما: تصوير الأفلام.. الصناعة السينمائية وفن السينما لإيغور بيلينكي

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

حاول المؤرخ السينمائي الروسي والمدرس في المعهد الروسي للسينما والتيلفزيون إيغور بيلينكي، في كتابه الأخير «تاريخ السينما: تصوير الأفلام.. الصناعة السينمائية وفن السينما» فهم ما يحدث في مجال إنتاج الأفلام المعاصرة، وفي أي اتجاه تتحرك السينما إلى المستقبل.

ويرى المؤلف أنه -ومن أجل فهم ما يحدث في السينما الآن- من الضروري بمكان ذكر تاريخ نشأة السينما وتطورها. وهكذا، فقد احتوى عمله الضخم على بحث معمق ومتشعب في المراحل الرئيسية من تشكل السينما، لا يتوقف عند الجانب التقني في السينما وحسب، وإنما يضم كذلك السينما باعتبارها أحد الفنون العريقة في حياتنا المعاصرة؛ فيخوض في تقلبات الفن السينمائي منذ نشأته في نهاية القرن التاسع عشر، وكيف أصبحت السينما تعبيرا يحاكي الفن التشكيلي، ودخول الصوت إلى الصورة، والدور الدعائي الذي تلعبه السينما، وكيف نجت السينما من أحداث الستينيات المضطربة، وتغلبت على مصاعب التسعينيات، وكيف تحولت من قالب ترفيهي، إلى فن يلامس جميع أوجه الحياة ويرتبط بمجالاتها الفنية والصناعية والدعائية والتواصلية، والمواضيع المختلفة التي تعالجها السينما، وكيف أصبح تصوير الأفلام مؤسساتي، ليس فقط من جهة الاستثمار، ولكن أيضا من جهة تنظيم العمل، والدعم التقني، واستخدام الموارد البشرية.

وإذ يهتم هذا الكتاب بتاريخ السينما، إلا أنه لا يتجاهل الأفلام، وهي صلب العمل السينمائي وهدفه؛ فيمحصها التحليل والنقد لا سيما تلك الأفلام التي فازت بشهرة عالمية. ويسلط المؤلف الضوء على مراحل تصوير الفيلم الرئيسية واختلاف التقاليد السينمائية في البلدان الأوروبية مثل فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا وأيضا الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، إلى جانب عدد من الدول الآسيوية. ويضم البحث أيضًا وجهة نظر المؤلف الخاصة حول عمل مخرجين كبار؛ مثل: السويدي إنغمار بيرغمان، والياباني أكيرا كوراسافا، والهندي ساتياجيت راي، والإيطالي فيدريكو فيليني، والإسباني لويس بونويل، والروسي أندريه تاركوفسكي والأرمني سيرجي باراجانوف.

يُلاحظ المؤلف أنَّ هناك الكثير من المطبات في طريق السينما تفوق المصاعب التي تواجهها الأشكال الفنية الأخرى، كالفنون التشكيلية والمسرح والموسيقى؛ وذلك رغم مرور مئة وثلاثين عامًا على اختراع الكاميرا السينمائية. من جهة أخرى، يوجه المؤلف انتباه القارئ إلى حالات مثيرة في حياة السينما مما يمكن اعتبارها حالات غير متسقة أو منافية للمنطق. ويطرح المؤلف -في هذا السياق- مثال الدنمارك، وهي بلد صغير في أوروبا، ولكنها تحتل مرتبة طليعة للبلدان المنتجة للأفلام واستطاعت بين أعوام ١٩٠٨-١٩١٥ أن تكون منافسا ومتفوقا في الأسواق العالمية على فرنسا وإيطاليا. وفي ألمانيا كانت الشركات الدنماركية تحتكر شباك التذاكر بشكل حاسمً. وكان شعار شركة الأفلام الدنماركية الوطنية Nordisk وهو عبارة عن دب قطبي ينتصب على الكرة الأرضية، معروفًا في جميع أنحاء العالم، كما تمتع نجوم السينما من كوبنهاغن بشعبية كبيرة وذاع صيتهم.

وفي السياق نفسه، أي صناعة السينما التي تخال لنا منافية للظروف الواقعية، حاول بيلينكي أيضًا معرفة السبب في وفرة الأفلام الألمانية في العشرينات والثلاثينيات من القرن الماضي، فيما كانت ألمانيا تعيش وضعا كارثيا، فالقوات المسلحة في البلاد تم القضاء عليها نتيجة هزيمتها في الحرب العالمية الأولي، وكان على الحكومة أن تدفع تعويضات لمدة سبعة وثلاثين عاما، والصناعات تنهار على خلفية التضخم الشديد، بل إن المجاعة بدأت تبرز أنيابها في الشارع. في تلك الظروف تقوم ألمانيا بتصوير ٦٤٦ فيلما في عام ١٩٢١ وحده، واحتلت مرتبة قريبة من الولايات المتحدة التي أنتجت في العام نفسه ٨٥٤ فيلما. كما أن المعدلات المرتفعة لإنتاج الأفلام لم تنخفض حتى مع بداية الحرب العالمية الثانية، بل يمكن القول إن عكس هذا كان صحيحا، ففي الوقت الذي شهدت فيه العمليات العسكرية كثافة وارتفاعا، لا سيما بعد عام ١٩٤١ إبان الهجوم على الاتحاد السوفيتي، في ذلك الوقت يسجل الإنتاج السينمائي في ألمانيا ارتفاعا في تصوير الأفلام الترفيهية بكل أنواعها. أما الهدف من ذلك فهو صرف انتباه الجمهور عن أخبار الجبهة، والتي كانت تسوء من عام إلى عام، بل ومن شهر بعد آخر.

يُحدد المؤلف كذلك بعض الخصائص الوطنية لكل سينما على حدة. فإذا كان من خصائص الأفلام الأمريكية، على سبيل المثال، اقتران الفيلم بالنهاية السعيدة (happy end)، فإن النهاية غير السارة كانت مبدأ في الأفلام الدنماركية، ولو أن الفيلم «انتهى فجأة بصورة هادئة، فإن ذلك مدعاة لإثارة غضب الجمهور»(ص:٤٦).

لا تخفى على القارئ النظرة النقدية السلبية التي يوجهها المؤلف للسينما الأمريكية والروسية، في حين يُظهر إعجابا بالأفلام الأوروبية ويضعها في خانة الفن الحقيقي. هناك مثلا الأفلام السويدية التي تتمتع بإحساس مرهف بالطبيعة وبفهم حاد بوحدة الطبيعة والإنسان. يكفي أن نتذكر تحفة المخرج السويدي فيكتور شوستروم «إيدوين الجبلي وزوجته» (١٩١٧) وهي قصة حب بين متشرد قاتل وأرملة، والأحداث التي تدور مع اختبائهما الإجباري في الجبال، وما يتبع ذلك من مطاردات من قبل عمدة القرية للأرملة التي أحبها أيضا، ثم كيف اختبأ الحبيبان في الجبال، بعيدا عن أنظار الناس، حتى أدركا الشيخوخة. في النهاية، وبعد أن أصيبا بخيبة أمل من الحياة يقررا أن يضعا حدا لحياتيهما في أتون عاصفة ثلجية.

وعن السينما الروسية، يتحدث المؤلف ومنذ

الصفحات الأولى بالنبرة التالية: «بلدنا ليس مهتما جدًا بالسينما، لا يوجد شيء يجذب الانتباه بشكل خاص. كانت لدينا سينما ذات يوم ولكنها انقضت منذ فترة طويلة» (ص:١).

ورغم هذا الموقف المنتقد الصارم للباحث، لم يفُته ذكر إنجازات السينما الروسية، وابتكاراتها العديدة، والمسار العجيب الذي خطته لنفسها. ويسجل أول ظهور للسينما في روسيا مع العروض العلنية لأفلام الأخوان لوميير في مدينة سانت بطرسبرج في مايو من عام ١٨٩٦، وقد شكل ذلك الحدث حافزا لتبني وتطوير السينما في هذا البلد، ففي نفس ذلك العام تم تصوير المراسم الأولى لصعود آخر القياصرة الروس نيكولاي الثاني إلى العرش. أرسل الأخوان لوميير مصورهم إلى الحفل، لينجز أول عملية تصوير على أراضي روسيا، ناهيك عن أن العملية كانت بمثابة أول نشرة إخبارية سياسية سينمائية في العالم، وأعقب ذلك الحدث إنتاج أول محاولة من نوعها في تصوير السيرة الملكية والتي دامت حتى تنازل الملك عن العرش في مارس من عام ١٩١٧.

أما عن الابتكارات السينمائية التي حققها الفنانون السينمائيون الروس، فيأتي لنا المؤلف بأمثلة من بينها الحلول الإخراجية التي نفذها المخرج ياكوف بروتازانوف في فيلمه «ملكة البستوني» (١٩١٦) (فكرة الفيلم مستوحاة من قصة تحمل الاسم نفسه بقلم الشاعر الروسي الكبير الكسندر بوشكين). ففي بعض المشاهد يأخذ المصور فجأة بهز الكاميرا وذلك من أجل الإيحاء بالقلق الذي يعتري بطل الفيلم أثناء مروره ليلا عبر غرف الكونتيسة. ويعود الفضل لبروتازانوف أيضا في إدخال ظل الحائط في اللقطة وذلك من أجل تكثيف البعد التعبيري للصورة.

بعد ذلك، وتحديدا في أعقاب ثورة أكتوبر ١٩١٧ والتي أدخلت البلاد في حرب أهلية، وجلبت لها الفقر الشامل، والمجاعة، إضافة لفرض نظام استبدادي جديد، في هذه الظروف نحت السينما الروسية منحى غريبا صرفا. فمع كمية الأفلام المتواضعة التي لا يذكرها أحد اليوم، تلمع بقع حمراء دموية من الدعاية السياسية المحمومة التي وضعها مخرجون بارزون كأيزنشتاين وبودوفكين وفيرتوف، الذين تمكنوا من اختراع وتطوير وتطبيق طريقة للإعلان السياسي على الشاشة. والشيء الوحيد الذي يأسف عليه المؤلف هو أن هؤلاء المخرجين الموهوبين كانوا يمتلكون قدرة

فنية عالية إلا أنهم لم ينتجوا شيئا سوى الدعاية للسلطة البلشيفية (وقد لا يتفق العديد من القراء مع رأي المؤلف هذا، خصوصا فيما يتعلق بالمخرج العبقري سيرغي أيزنشتاين وأثره العميق في السينما العامية!).

نجد في سياق الكتاب توصيفا للمؤلف لا نستطيع أن نشاركه الرأي فيه؛ حيث يقول: «في الثلاثينيات من القرن العشرين بدأت السينما السوفيتية تتطابق بشكل مثير للريبة مع السينما النازية» (ص:١٤٢). إلا إذا كان الكاتب يقصد التشابه بين ما تقدمه شاشات البلدين من حيث ابتعادها عن الحقيقية والواقع، فقد ابتعدت السينما عن مجريات الواقع في كلا البلدين، تلك المجريات التي حددت مصائر الناس في ألمانيا والسوفيت. فلم تقم السينما الألمانية بتصوير أفلام عن المذبحة التي جرت قبل الانتخابات بين النازيين والشيوعيين، ولا عن حرق الرايخستاغ في ٢٧ فبراير من عام ١٩٣٣ أو عن الليلة التي تسمى بالليلة الكريستالية من ٩ إلى ١٠ نوفمبر ١٩٣٨ عندما وقع الهجوم الجماعي المروع علي اليهود، أو ثورات الفلاحين، أو عسكرة البلد، أو الفقر المدقع بين جماهير الشعب وذلك بسبب الرعب الذي سيطر على القطاع السينمائي من النظام الديكتاتوري.

وعلى الرغم من الإنجازات التي حققتها السينما الروسية، والتي أتى المؤلف على ذكر بعض منها، إلا أنه لا يجد سبيلا لمقارنة الفن السينمائي الروسي بالأمريكي أو الأوروبي؛ حيث يرى أن بلدان ما وراء المحيط تمتلك مقدرة على الإمساك بتاريخية الفن السينمائي ومنحه الزخم الضروري لتطوره. ففي أوروبا كان للسينما تشكلات متميزة، فردية وتجريبية. وفي الولايات المتحدة وعلى الرغم من أن الفيلم مبني على مبدأ الإنتاج الصناعي الخالص والقائم على الاستثمارات المالية الضخمة، والغياب شبه الكامل لإرادة المؤلف، ووجهة نظره الشخصية حول المناخ العام للفيلم، إلا أن الصناعة السينمائية الأمريكية تظل بؤرة لهذا الفن، كما يصعب تصور الشاشة الكبيرة من دون هوليوود.

ويشهد عالمنا المعاصر، كما يشير المؤلف، حقبة جديدة تكمن في انحسار التأثير السينمائي على عقول ومشاعر المشاهدين، وعلى نظرتهم للعالم، وذلك بخلاف ما كان شائعا في فترة الستينيات من القرن الماضي. يقول المؤلف: «اليوم، لا تتأثر عقولنا ومشاعرنا بالأفلام، ولكن بالتكنولوجيا التي تم تصوير الأفلام بها (...) إنه عصر الموت البطيء الذي بدأ منذ نهاية الثمانينيات ويستمر حتى يومنا هذا. وتكمن الملامح الرئيسية التي تشكل وجه السينما المعاصرة ووجهتها: تكرار الموضوع، وإعادة صياغة الأفكار، وإعادة النسخ، والتحسينات التكنولوجية والمؤامرات المالية التي تحوم حول شباك التذاكر. أما المشاهد في الوقت الراهن فيصفه المؤلف بالمشاهد المجتزئ. فإن كان مشاهد القرن العشرين لا يتجرأ على مغادرة الفيلم لدقيقة واحدة خشية أن يفقد خيط الأحداث وسياق الحبكة التي صيغت بإحكام في الفيلم، فإنه في نهاية القرن غدا مشاهدا قادرًا على إدراك الفيلم بطريقة مجزأة وذلك وفقًا للتصور الذي يرسمه المؤلف حيث يقول متأسفا: «لم يعد من الضروري الإحاطة بالفيلم إحاطة كاملة، وفي كثير من الأحيان لا يجد المشاهد معنى للقيام بذلك البتة» (ص: ٣١٩).

- الكتاب: «تاريخ السينما: تصوير الأفلام.. الصناعة السينمائية وفن السينما».
- المؤلف: إيغور بيلينكي.
- الناشر: ألبينا بوبليشير- موسكو, 2019, باللغة الروسية.
- عدد الصفحات: 405 صفحات.

* أكاديمية ومستعربة روسية

إقامة الدين في الظروف الراهنة في الهند لسيد سعادة الله الحسيني

فيرابوراتو عبد الكبير *

مُؤلف الكتاب سيد سعادة الله الحسيني من نُخب الجيل الحديث في الجماعة الإسلامية لعموم الهند. انتُخب أميرا للجماعة هذا العام. خلافا لمولانا جلال الدين العمري الذي سبقه في منصب الأمير ليس الحسيني من علماء الدين الذين تخرجوا في الجامعات الإسلامية التقليدية بل ممن تسلح بالعلوم العصرية مثل محمد يوسف من قادة الجماعة السابقين. سبق له العمل بصفته أستاذا في معهد التكنولوجيا الهندي. قدم الاستقالة من وظيفته بالمعهد للتفرغ في أنشطة جماعته الدعوية والاجتماعية. وكتابه الذي نعرضه هنا يبحث عن منهج العمل الذي يجب على الحركة الإسلامية أن تتبعه في الهند في ضوء التطورات السياسية والاجتماعية الراهنة على المستوى العالمي والمستوى الهندي.

ويُقسَم الكتاب إلى ثلاثة أقسام.. القسم الأول تحت عنوان «التطورات العالمية» يبحث عن ثلاثة مواضيع؛ وهي: «المستجدات العالمية والحركة الإسلامية» و«التيار العالمي ضد النظام الرأسمالي» و«مقارنة الحالة الإسلامية في مصر بالحالة في تركيا». والقسم الثاني تحت العنوان العريض «معالم في الطريق» يبحث عن مواضيع تتعلق بالحركة الإسلامية في الهند؛ مثل: «الحركة الإسلامية في الهند وآثارها الاجتماعية»، و«مستقبل الحركة الإسلامية في الهند»، و«تحديات منهج التعليم أمام مسلمي الهند»، و«الطريق إلى التطوير والتنمية»، و«الشباب المسلم وميدان عملهم: ضرورة التوازن والوسطية». والقسم الثالث يتناول التحديات والمشكلات التي يواجهها الدعاة في مجال الدعوة وإيجاد حلها، ويبحث فيه التعصب الديني وتهمة الإرهاب المنسوبة إلى المسلمين وموقف الحركة الإسلامية من حكم محكمة إله آباد المحلية في قضية المسجد البابري ونتائج انتخابات العامة في العام ٢٠١٤، ونتائج الانتخابات في ولاية أوتارابرديش.

الكاتب متفائل جدا بمستقبل مسلمي الهند رغم التحديات الهائلة التي يواجهونها في الوقت الحاضر. يقول إنَّ تاريخهم مشع يؤكد بثقة أنفسهم وعزيمتهم؛ حيث اتخذوا قرارهم في البقاء في الهند عند تقسيم البلاد دون أن يعقدوا آمالهم على باكستان. وذاك كان قرارا جريئا في تلك الحقبة الهائجة بالاضطرابات الطائفية والمجزرة الجماعية. وخلال العقود السبعة الماضية بعد الاستقلال تمكنوا من استقرار وجودهم في مسقط رؤوسهم متمسكين بتعاليمهم الدينية ومدافعين عن هويتهم الثقافية، كما استنهضت من بينهم منظمات وجماعات وحركات عديدة تأخذ بأيديهم نحو الترقي والازدهار في شتى المجالات الاقتصادية والتربوية والاجتماعية والدعوية. وليس هذا بأمر بسيط. وكان من تلك الحركات الجماعة الإسلامية الهندية التي تشكلت بُعَيد تقسيم الهند. ورغم مواجهة تحديات خلال فترتها الطويلة التي تمتد إلى سبعين عاما، تحققت إنجازات عظيمة حسب قول المؤلف، كما أثّرت في حياة المسلمين الهنود آثارا بالغة. استطاعت مع قلة أعضائها أن تلعب دورا في توحيد كلمة المسلمين. ومن أهم إنجازاتها مجلس الشورى لعموم مسلمي الهند الذي أتى في حيز الوجود في ستينيات القرن الماضي عندما اندلعت الاضطرابات الطائفية في نطاق واسع في أنحاء البلاد. إن محمد مسلم القيادي البارز في الجماعة الإسلامية والصحافي المرموق هو الذي كان خلف كواليس تشكيل هذا المنبر المشترك. فاز محمد مسلم في الحصول على تعاون سيد محمد من قادة حزب المؤتمر وصديق جوهر لال نهرو الحميم والدكتورعبد الجليل فريدي أحد قادة الحزب الاشتراكي و«بانتيت سوندار لال» من تلامذ الغاندهي المشهور. اللجنة بقيادة القاضي «ساتشار» التي عينتها الحكومة للبحث عن تخلف المسلمين في المجالات الاقتصادية والتربوية والاجتماعية حين قدمت تقريرها تبنت الجماعة الإسلامية مشروعا باسم «رؤية ٢٠١٦» وبعد اكتماله ألحقته «رؤية ٢٠٢٦» حيث قامت بتأسيس عدد من المدارس والجامعات والمستشفيات في عدة مناطق في شمال الهند. وهذه المؤسسات معالم ناطقة بخدمات الجماعة الجليلة التي قدمتها لمجتمع المسلمين. إلّا أن المؤلف مع كل هذه النواحي الوضاءة لا يتردد في الاعتراف بالنقاط الضعيفة والملامح الكالحة في مسيرة الأمة والحركة الإسلامية في الهند. ويقول إن مسلمي الهند قد أضاعوا فرصا كثيرة متوافرة لهم دون أن يستفيدوا منها على الوجه المطلوب. ومن الضروري تقييم تلك الضعوف بنقد ذاتي لتحديد بوصلة مسيرة الأمة إلى الأمام. وخلال استعراضه مشاكل الأمة يُقدِّم بعض التوجيهات لتحقيق الأهداف المنشودة.

لا شك أنَّ المسلمين في الهند يمرون الآن بمرحلة خطيرة في حياتهم، وعلى المستوى الدولي أيضا حالة الإسلام والمسلمين لا تختلف عن حالتهم في الهند كثيرا. وظروف العالم هذه أيضا تؤثر طبعا على نفسية المسلمين الهنود الاجتماعية. ولكن المسلمين في قارة الهند التي لم تفقد القيم الديمقراطية والأمن كاملة يراهم الكاتب نسبيا في مأمن من المشاكل والأزمات التي يواجهها غيرهم من المسلمين في كثير من بلدان أخرى. صحيح أنهم في السباق إلى التقدم متخلفون، ويُحيط بهم الآن جوّ سياسي تُهدَّد فيه هويتهم الثقافية التي يستميتون في الحفاظ عليها. التعصب الديني والاستقطاب الطائفي يتزايدان يوما بعد يوما. ويؤكد الكاتب بأن في هذه الظروف إنما يطلب منهم جهود بناءة تَحمل مشاريع تُنفَّذ بالبصيرة. ويقول إن كانت هناك تحديات كثيرة فثمة أيضا فرص سانحة. بل التحديات هي التي تفتح أبواب الفرص. ولكن علينا أن نفتح عيوننا نحو التحديات والمشاكل وكذلك نحو الفرص. والمقالات في هذه المجموعة تشير إلى بعض تلك الفرص والقرارات التي يجب أن تُتخذ في مثل هذه الظروف وتُسلِّط الضوءَ على الجهة الصحيحة التي يجب أن تستهدفها الأمة في مسيرة حياتها.

أية أقوام يتمتعون بثقة النفس والحذر من التهديدات المحدقة بها، ينبغي أن تسيطر على الظروف التي تحيط بها وتتحمل مسؤوليتها الكاملة دون أن تقضي جل أوقاتها في الشكاوى والعويل. سيفهمون أن إزالة العوائق الخارجية مسؤوليتهم كما الاهتمام بإصلاح ضعوفهم الذاتية بالاستفادة من مواردهم الداخلية أكثر مما هو من الخارج. هذه هي الرسالة الأساسية التي تُوصَلها إلى القراء معظم المقالات في الكتاب. وحاليا تتوافر فرص كثيرة للإسلام والمسلمين داخل الوطن وخارجه. وهي مرتبطة بقوة رؤية الإسلام. وهي ذاتها مصدر قوة أتباع الإسلام. ويقول المؤلف إن السبب الرئيس في ضعف المسلمين هو أنهم لم يهتموا بتطبيق قوة رؤية الإسلام هذه التي هي قوتهم الحقيقية على وجهها المطلوب. لأنهم بدلا من النهوض كأصحاب رؤية جعلوا أنفسهم فِرقَة من الفِرَق المتعصبة والطائفية.

القسم الأول من الكتاب يلقي الضوء على فرص متوفرة التي ترتبط بالظروف العالمية ويناقش عن الخطط الممكنة الاستفادة منها بهذا الصدد. العالم الإسلامي الآن ملعب القوى الدولية. الأزمة التي يواجهها المسلمون قلما يوجد لها نظير في تاريخهم. وسائل الإعلام التقليدية ووسائل مواقع التواصل الاجتماعية الحديثة ومؤسسات البحوث جميعها تحاول إقصاءهم تشويه صورتهم على الصعيد العالمي. ليس نظام الإسلام فقط بل قيمه وتعاليمه الأساسية أيضا فريسة لهجمات شعواء. يقول الحسيني إن علينا تحليل هذه الصورة بمنظورين. أوّلا ما هي الأسباب وراءها؟ ثانيا ما هي الطرق السليمة للخروج من هذا المأزق. إن أوروبا في عتبة شيخوختها الآن. كل واحد من خمسة أشخاص فيها قد تجاوز عمره ٦٥

سنة. وهي في حاجة إلى دم جديد لإنقاذ نظام اقتصادها من الانهيار. ولكنها حين تبحث عن أياد عاملة من الشباب من العالم الإسلامي ينتابها خوف مما إذا كانت قوة الشباب هذه تأخذها معهم إلى دينهم الإسلام أيضا. ليس بوسعهم المنع من سيل هجرة المسلمين إليها ولا عدم تشجيعها. فإذن ترى الحل لهذه المشكلة في السماح لهذه الهجرة في جانب بينما تحاول في جانب آخر إبعاد القوة الوافدة هذه من ثقافتهم الدينية. يكتب المؤلف: «ومن السياسة المبنية على «الإسلاموفوبيا» ما يلي:

١- الدعاية القوية خارج العالم الإسلامي لتشويه الإسلام حتى يصبح مكروها لدى الجميع.

٢- أن يجعل المسلمون أدوات لتأجيج هذه الكراهية وأن يجعل مناطق المسلمين جهنما يُخوِّف الناس منها.

٣- محاولة إبعاد الجمهور عن الحركة الإسلامية وإيقاع من يحتمل أن ينتمي إليها في فخ خطير ينصب لهم.

٤- تفريق المسلمين خاصة من يحلم بانتصار الإسلام بأن يجعلهم في معسكرات متفرقة.

٥- توهين علاقة المسلمين بالإسلام وخاصة علاقتهم برسول الإسلام.

٦- تمكين الجيش والدولة العميقة في الدول الإسلامية وتشكيل منظمات لتطبيق مخططاتهم بالنجاح.

ويشير المؤلف إلى أنَّ الحركات الإسلامية هي التي كانت مستهدفة لحملات الداعش في سوريا والعراق، وأن إسرائيل لم تكن أبدا عرضة لحملاتهم. الدول في الغرب ترى في الإسلام تهديدا لثقافتها. هذا هو السبب وراء كراهيتها نحو الإسلام. ولكن هذه الكراهية نفسها قد أثارت الفضول في الإسلام والاهتمام به في الغرب حيث يزداد عدد من يعتنقه يوما بعد يوم بما فيهم كثير من النخب والفنانين والأكاديميين. أفول الثقافة الرأسمالية وانهيار نظام الأسرة واتجاه العودة إلى الروحانية والقيم الدينية التي تسمى «لا علمانية» (Desecuralism) يراها المؤلف كلها عناصر تُوفر للإسلام فرصا في الغرب.

وفي جهة أخرى، توجد براهين التقدم في بعض الدول الإسلامية مع التمسك بتعاليم الدين، إيران وتركيا نموذجان بهذا الصدد. ينقل المؤلف مقالًا كتبه آندي كوجلان في مجلة New scientist حيث يقول إن إيران في قمة العالم في النمو إذا اعتبرنا سرعة مسيرتها نحو التقدم العلمي. وتركيا أيضا في الصف الأول في أوروبا في مجال البحوث العلمية، ويقول تقرير صدر عام ٢٠١٥ من مجلس إدارة البحوث والابتكارات التابعة للمفوضية الأوروبية إن نسبة النساء اللاتي ينشغلن في البحوث في تركيا يفوق عددهُنّ على أخواتهن في إنجلترا وفرنسا التي تُعدّ مراكز الحركة النسوية. ويقول جولدمان في كتابه Bricks and Beyond إن سبع دول من ١١ دولة التي تُفرَض أن تحتل مكانا بارز في نظام الاقتصاد العالمي في المستقبل هي دول إسلامية. العالم الإسلامي الحالي عالم الشبان ٦٠٪، من نسمة العالم الإسلامي عمرهم أقل من ٣٠ سنة. وتناسب عدد الشبان المسلمين يكون تقريبا ٧٠٪ من مجمل الشبان في العالم. يقول المؤلف إن من التحديات

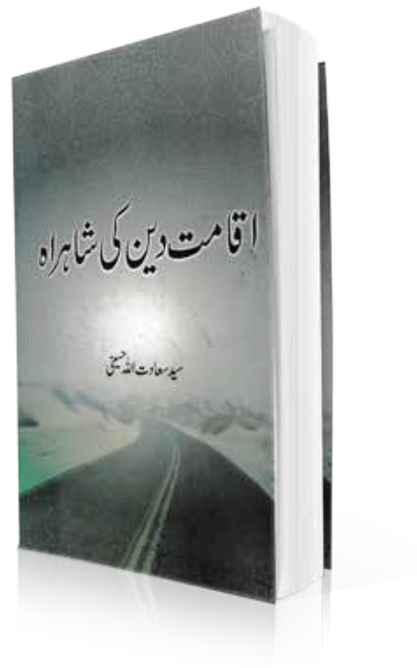

التي يجب أن تأخذها الحركات الإسلامية طول العالم أن تكون سندا لقوة هؤلاء الشباب، وأن تقودهم إلى الطريق المستقيم المتوازن من الوقوع في أيدي أعداء الإسلام. ويؤكد أنَّ إستراتيجيات الحركات الإسلامية تتطلب تغيرا كبيرا طبقا للمستجدات في العالم الحاضر. وعلى ضوء النماذج التركية والتونسية يُوضّح الكاتب مواصفات هذا النموذج التي يجب أن تتصف بها الحركات الإسلامية في أرجاء العالم على النحو التالي:

(أ) بدلا من التشبث بهتافات شمولية الإسلام التوجه إلى التماشي مع العملية التدريجية بالتركيز في التغيرات الممكنة في الظروف الحاضرة.

(ب) بدلا من المواجهة المحاولة للاتفاق الممكن بالتوصل إلى عقد سياسي حتى مع القوى المعادية للإسلام، وعدم التضحية بالمصالح الجزئية الممكنة بنصب العين على آمال بعيدة.

(ج) التفادي من العصبية الحزبية ومحاولة استيعاب جميع شرائح المجتمع.

(د) كسب القوة الاجتماعية من خلال الخدمات العامة وحلّ مشاكل السواد الأعظم حتى تتحوّل تلك القوة إلى قوة سياسية.

وحين يحلل الحسيني حالة الإسلام ومستقبل الحركة الإسلامية في الهند لا يفقده الشعور بالحقائق المرة القائمة فيها الآن ولا رؤية التحولات الهائلة المقبلة. يقول إن الهند خلال عام ٢٠٢٢ ستصبح بلدا أكثر سكانا في العالم بحيث يكون واحد من خمسة أشخاص فيه هنديا. حين تصل نموها الوطني للإنتاج إلى خمس وعشرين تريليون ستتحول ثالث قوة اقتصادية في العالم. وفي عام ٢٠٣٠ ستكون الهند أكثر قوة عاملة كما ستكون أكثر الشبان في العالم. وبما أن أوروبا وروسيا في تلك الحقبة ستكونان أكثر الدول شيخوخة، سيتم الإنتاج الاقتصادي في البلدان النامية بأيادي القوة العاملة والمهرة الوافدة من الهند. ويعرض الكاتب لإحصائيات عن ازدياد عدد المدن والهجرة إلى المدن في الهند وإلى تقدمها في مجالات استخدام وسائل التواصل وغيرها. وعدد المسلمين خلال هذه الفترة سيصل إلى ٢٤٠ مليون بحيث يكون ١٦٪ من مجمل السكان، وثُلث السكان منهم سيكون في المدن الكبيرة، وفي هذه الحقبة تستفحل حركة إحياء الهندوسية حتى تُحاول أن تحكم قبضتَها على جميع المجالات وتسيطر على عقول الطبقة المتوسطة من الهندوس، ولكن المناقشات الجارية على نطاق واسع حول نظام التربية الهندوسية والعلم الهندوسي وفلسفة الحياة الهندوسية والقيم الهندوسية ونموذج التجارة الهندوسية بما يفتح الفرص للحوار عن الرؤى الإسلامية في هذه المواضيع. بينما يشتد تعامل أصحاب إحياء الهندوسية في جانب يزداد دور المسلمين في جانب آخر في مجال النشاطات التربوية والاقتصادية. يجب على الحركة الإسلامية أن تتخذ استراتيجيات بحكمة وموعظة حسنة لتواجه التحديات الناتجة من هذه الظروف.. حسب خطط رسمها الكاتب يمكن تلخيصها كما يلي:

- بدلا من أن يكون المسلمون طرفا في التوتر الطائفي القائم يجب عليهم أن ينشغلوا بالدعوة بطريقة سلمية ومعاملة لينة بشهادة حياتهم العملية. ويمكنهم في هذا الشأن الاستفادة من حب استطلاع الناس للإسلام ولو كان ناتجا من أسباب سلبية.

- اجتناب الانفراد في مجال السياسة والابتعاد عن السياسة الطائفية.

- إنهاء عدم اهتمام أحزاب المسلمين وحركاتهم بالقضايا العامة وعدم حصر أفكارها ونشاطاتها في قضايا المسلمين فقط.

- إنهاء فجوة التواصل بين المسلمين وغير المسلمين وخاصة فيما يتعلق بقضية التطرف.

- إعادة النظر في أدبيات الحركة الإسلامية التي كُتبت قبل استقلال الهند. واستخدام التكنوجوجيا المعلوماتية في مجال الدعوة. إضافة إلى المبادئ الإسلامية يجب أن تتضمن هذه الأدبيات التصورات الإسلامية عن حقوق الإنسان وحقوق المرأة ونظام التربية والتعليم والتنمية ورعاية البيئة...وغيرها.

والكتاب في المجمل دراسة جادة ومحاولة جريئة لمراجعات ذاتية، وقائمة المراجع تدل على أن الكاتب واسع الاطلاع على ما يتعلق بموضوع العلم الاجتماعي.

- الكتاب: «إقامة الدين في الظروف الراهنة في الهند».
- المؤلف: سيد سعادة الله الحسيني
- الناشر: الهداية للنشر والتوزيع, دلهي, باللغة الأردية 2018.
- عدد الصفحات: 175 صفحة.

* مستعرب هندي

حرب الهيكل: علم الغيب وتاريخ الصراع في الشرق الأوسط لجانلوكا مارليتتا

فاتنة نوفل *

جانلوكا مارليتا الباحث الشاب في تاريخ الأديان، مؤلف العديد من الكتب من بينها هذا الكتاب المنظم والموثق الذي بحث موضوع الهيكل من زوايا متعددة، من خلال إعادة الإعمار التاريخي للأحداث التي سبقت النتائج الحالية، حيث بحث في الأوقات والشهادات البعيدة، وتابع الأحداث التي أدت في سرية إلى تدمير الهيكل وإلى تشتت الشعب اليهودي، كنتيجة منطقية لرفض الاعتراف بالمسيح.

هذا إضافة للذرائع اليهودية غير الصحيحة التي أدَّت لثابت واحد وهو الضياع والانفصال عن التقاليد المتعارف عليها في الأديان التوحيدية الثلاث، وما ترتب على ذلك من فقدان أبعاد التدين الأخلاقي والعاطفي في الديانات البروتستانتية المسيحية والسلفية الإسلامية، ودور الحركة الصهيونية اليهودية نفسها والتي أصبحت أفضل الحلفاء للمسيحيين؛ مما يهدد الكنيسة الكاثوليكية في أتباعها الذين يزدادون تعاطفا لدعوات التيارات العالمية الحالية التي تعمل على سحب هذه التيارات الروحية نحو العمل السياسي الشائن لبيئات مثل المحافظين الجدد، الذين يهيمنون على المؤسسات الأمريكية ويضعون كل البلدان الخاضعة للسيطرة الأمريكية في مواجهات وحروب مستمرة. وهنا يشير مارليتا إلى «التحالف غير المألوف» الذي أصبح أكثر فاعلية بين المحافظين الجدد في السلطة في الولايات المتحدة والقوميين الإسرائيليين والصهاينة والسلفية: تحالف لم يكشف عن نفسه بشكل صريح، ونجح في زرع الدمار في العراق كما في سوريا واليمن كما في باكستان؛ مما دفع إلى نتيجة معلنة كارثية لم تعد خافية في الإطار الدولي بأكمله من تعزيز للنزاعات والحروب الوقائية، مع نتائج غير متوقعة بتوجيه من مجموعة من القتلة الذين يشعرون بأنهم محاطون بأعداء يريدون تدميرهم، إلى جانب المتعصبين الدينيين الذين يدفعون البشرية جمعاء نحو كارثة محققة كنتيجة لفقدان مركزية الروح والحضور الديني الأصيل.

إنَّ حلف المحافظين الجدد يقدِّم نفسه كحركة سياسية لليمين (خاصة الأمريكية، ولكن مع امتدادات مهمة في أوروبا) وداعم حاسم للغرب (عقيدة صدام الحضارات) تتميز بتطبيق عملي بلا ضمير وأخلاق مكيافيلية.

النقطة التي يبدأ منها المؤلف في كتاب «حرب الهيكل: علم الغيب وتاريخ الصراع في الشرق الأوسط» هو الفعل الذي قرر فيه دونالد ترامب في ١٤ مايو ٢٠١٨ نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، والتي قدمها الرئيس الأمريكي الجديد بأنها لم تعد مدينة دولية، بل عاصمة لدولة إسرائيل وللإسرائيليين، وبالتالي استبعاد الفلسطينيين (المسيحيين والمسلمين) لأنهم «شعب بدون دولة» وقريباً بدون هذا القدر القليل من الأرض (٢٢٪ فقط من فلسطين) التي لا تزال قائمة.

استند مارليتتا إلى وثائق ومراجع دقيقة مصدرها مركز مكداش التعليمي الذي قرر مؤخرًا صك ميدالية جديدة بوجه ترامب وقورش الكبير ملك فارس القديم (٥٥٨-٥٢٩ ق.م) والذي سمح بعودة اليهود إلى وطنهم في عام ٥٣٩، بعد أن احتل الملك البابلي نبوخذ نصر القدس عام (٦٠٥-٥٦٢ ق.م) ودمرها مع أول معبد في عام ٥٨٧/٥٨٦، ورحَّل سكانها إلى بابل. الكتابة على الميدالية كانت عن قصد باللغات العبرية والعربية والإنجليزية التي تحتفل بترامب لأنها «وفقا للتطلعات الجديدة التي أعيد إنشاؤها في إسرائيل ستؤدي إلى إعادة بناء الهيكل اليهودي على ما يسمى الآن باحة المسجد الاقصى في قلب القدس»؛ حيث يعتبر مركز مكداش التعليمي أحد مجموعات الحاخامات العديدة التي تدعم إعادة بناء الهيكل، الذي تم تدميره عام ٧٠ بعد الميلاد على أيدي الرومان.

علاقة الربط الغريبة بين الرئيس ترامب وقورش الكبير تجد تفسيرا دقيقا في هذا السياق: حين قام قورش بإعادة بناء الهيكل الثاني (بعد أن تم تدمير هيكل سليمان الأول من قبل البابليين في عام ٥٨٦ قبل الميلاد، حيث من المأمول أن يتمكن الرئيس الأمريكي الحالي (المعروف بتعاطفه المؤيد لإسرائيل) من إدراك الحلم أخيرًا بإعادة بناء الهيكل، إلى جانب المطالبة في كل سنتيمتر مربع من أرض إسرائيل (أيريتز إسرائيل) والحاجة إلى إبعاد (غير اليهود) لما يراد لها أن تكون دولة عرقية لليهود فقط تمت الدعاية لها في مسيرة في باحة المسجد الأقصى في تاريخ ٢٨ يوليو ٢٠٠٠ من قبل أرييل شارون حيث كانت لفتة رمزية لتؤكد الحاجة إلى الوصول في أقرب وقت ممكن لإعادة بناء الهيكل.

مارليتا تفهم قيمة الإيمان لـ«مسيرة» شارون هذه، والتي أعقبت «المسيرة الليلية» في ٢٣ يوليو ٢٠٠٠ لمئات المستوطنين الإسرائيليين الذين قاموا بغزو المسجد الأقصى والحرم القدسي الشريف مع الاحتفال بالطقوس اليهودية (التي لا يمكن الاحتفال بها إلا من قبل الكهنة المنحدرين من أهارون ويتم انتخابهم من قبل الكهنة الآخرين)، في المكان الذي كان يُقام فيه المعبد والذي لا يمكن تقديم التضحيات فيه لله إلا عليه كما هي الحال في العهد القديم مع خطر تدنيس أرض الحرم القدسي الشريف حيث لا يمكن السير عليه إلا من قِبَل رئيس الكهنة ولمرة واحدة كل ثلاثة أعوام كعلامة على استعداد إسرائيل لإعادة بناء الهيكل بعد إقامة المسجد الأقصى ومسجد عمر وقبة الصخرة.

علاوة على ذلك، في ١٣ فبراير ٢٠٠٢، خرج حوالي نصف مليون إسرائيلي في مظاهرة نظمها مؤمنو المعبد، وصولاً إلى باحة المساجد، متعهدين بالاستيلاء على كل القدس. وفي ٢٨ أبريل ٢٠١٧، ألقت اليونسكو باللوم على «الاستفزازات المستمرة ما يجعل أعمال العبادة الإسلامية في الموقع صعبة بالنسبة للحرمين» في الوقت نفسه، هناك جمعيات في إسرائيل تقوم عملياً بالإعداد لإعادة الإعمار «التالي» للمعبد. واحدة من أكثر الجمعيات نشاطًا وقوة هي Ateret Cohanim Yeshiva وهي مدرسة مسؤولة عن تدريب كهنة الهيكل في المستقبل. ما يؤكد بحق على أهمية الدور الذي يلعبه اللوبي اليهودي/الأمريكي والذي يطلق عليه بشكل غير صحيح «مسيحي/صهيوني» في حين يجب أن يُطلق عليه للدقة اسم «البروتستانت/الصهيونية»، لأنه يتكون من حوالي ٤٠/٢٠ مليون بروتستانتي إنجيلي أمريكي، والذين يؤمنون فقط بتاريخ إسرائيل في العهد القديم، دون الإشارة تقريبًا إلى المسيح والعهد الجديد، فهم ممن يعتقدون أنه من الضروري إعادة جميع اليهود إلى فلسطين حتى يتمكنوا من إعادة بناء الهيكل الثالث لتسريع المجيء الثاني للمسيح.

وهنا، يشير الكاتب إلى دور وسائل الإعلام في العالم العلماني الغربي/الأطلسي الذي لا يفهم ويرفض أن يتفهم الأهمية الدينية لهذه الأحداث والتي فهمها

الفلسطينيون جيدًا، وكانت الإجابة بتفجير «الانتفاضة الثانية». كما حدد الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) في ١٩ يوليو ٢٠١٨ إسرائيل بأنها «دولة /أمة الشعب اليهودي» والحَطّ من قيمة اللغة العربية (التي يتحدثها حوالي مليوني شخص في فلسطين) من «لغة رسمية» إلى «لغة ثانوية».

اليهود، الذين طردوا من فلسطين بشكل نهائي من قبل الإمبراطور أدريان في عام ١٣٥ بعد الميلاد، مع حظر عودتهم وجعل عقوبتها الإعدام، تبعها في القرن السابع الميلادي (حين لم تعد الإمبراطورية الرومانية للغرب) حاول اليهود استعادة القدس ويهودا مستغلين ضعف الإمبراطورية الرومانية البيزنطية، طالبين العون من الملك الفارسي كسرى (٥٩٠-٦٢٨) بالتمرد على الإمبراطور البيزنطي هرقل (٦١٠-٦٤١). احتل الملك الفارسي القدس عام ٦١٣ ودمرها، لكنه هزم في نينوى عام ٦٢٧ على يد الإمبراطور البيزنطي هرقل. لكن الفرس ألحقوا أضرارا بالكنائس المسيحية في القدس، بما في ذلك تلك التي كانت بالقرب من أنقاض الهيكل وأعطوا حلفاءهم اليهود الفرصة للاستيلاء على المدينة المقدسة وذبح المسيحيين. حيث أقام الإسرائيليون لمدة ١٥ سنة (حتى ٦٢٨) وكانوا قادرين على إعادة التوطين في القدس، وخلق الحكم الذاتي الخاص بهم تحت حكم كسرى حتى أعاد البيزنطيون الهجوم المضاد على الحكم المسيحي في الشرق الأوسط عام ٦٢٨ لتعود القدس إلى المسيحيين، ولكن لبضع سنوات. في الواقع وفي عام ٦٣٥ ذهب العرب المسلمون هناك وظلوا هناك دائم باستثناء الفترة من ١٠٩٦ إلى ١٠٩٩ حتى ١١٨٧.

وأعاد المسيحيون بناء الكنائس المدمرة وترميمها، وطرد هرقل السكان اليهود من القدس ومنع مرة أخرى دخول الإسرائيليين إلى المدينة المقدسة. عند وصول العرب إلى القدس، حصل بطريرك القدس الكاثوليكي صفرنيوس على حرية العبادة من خلال دفع ضريبة مقابل التزام المسلمين بالدفاع عن المسيحيين من الانتقام من اليهود. قام الخليفة عمر أثناء زيارته للمدينة المقدسة، بتطهير معبد الهيكل وبناء مسجد عمر الذي بناه مهندسو المدرسة البيزنطية وفقًا للتقاليد المعمارية المسيحية الشرقية. كذلك أعطى الخلفاء المسلمون اليهود الإذن للعودة إلى القدس وإعادة تأسيس مجتمع ديني يهودي. كانت العلاقة بين الإسلام واليهودية أكثر سلمية بشكل عام من الإسلام والمسيحية. ومع ذلك، حتى القرن الحادي عشر كان هناك تسامح معيّن للإسلام أيضًا فيما يتعلق بمسيحيي الأرض المقدسة، لكن مع صعود الإمام الحكيم في مصر من الطائفة الإسماعيلية، بدا معاديًا حقيقيًا للمسيحيين من حيث الاضطهاد؛ مما أدى إلى تدمير

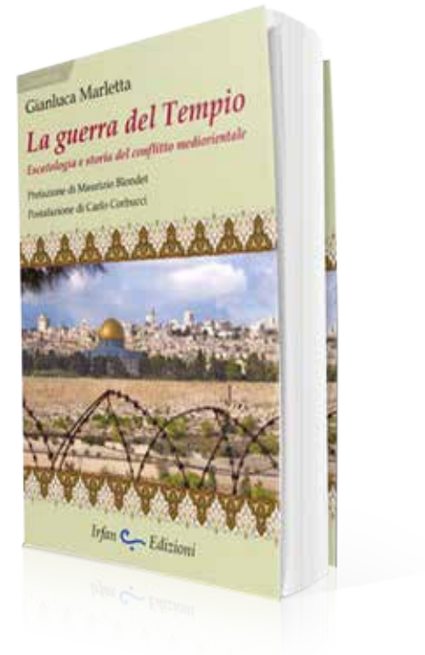

كنيسة القيامة، وبالتالي إلى رد فعل المسيحية (١٠٩٥) بالحروب الصليبية الشهيرة.

بدأت الكنائس المسيحية الأولى في بناء أورشليم مع تحول قسطنطين إلى المسيحية (سنة ٣١٢) على جبل الهيكل (المعبد الأول ١٠٠٠ ق.م.، المعبد ٥١٦ أ) أوجبل موريا - حيث تم إنشاؤه وفقًا للتقاليد.

هنا.. يبحث الكاتب في أبرز التطورات التي حصلت في الفترة التي تمتد إلى قرنين من الزمان من نهاية العصور الوسطى إلى عصر الحداثة، وشملت الديانات التوحيدية الثلاث بطرق مختلفة. فيما يتعلق بالديانة المسيحية كانت واحدة من أكثر الحقب دراماتيكية في تاريخ الغرب؛ حيث تمَّ تدمير نظام الفروسية وهو عنصر قوة الإمبراطورية وعملية علمنة الدين الكاثوليكي الناجمة عن ولادة «الدول القومية» في القرن الرابع عشر وفقدان هيبة الكنيسة لتخضع للقوى الدنيوية لتكون أسباب غروب حضارة العصور الوسطى مع قيمها ومبادئها وأشكالها ليولد من الرماد حضارة مختلفة تمامًا تتحلى بروح العقلية التجارية مما ترك المكان للإمبريالية البحرية للقوى العظمى واستخدام الدين نفسه الذي كان لا يزال واسع الانتشار لإحداث تغييرات جذرية قادت إلى سلسلة من العواقب البعيدة عن روح الدين والتي لا يمكن إيقافها.

أما فيما يتعلق باليهودية، فإنَّ القرن الخامس عشر يتزامن مع واحدة من أكثر الأحداث الصادمة؛ ففي عام ١٤٩٢ اضطرت الجالية اليهودية الإسبانية «واحدة من أكبر وأكثر الجاليات أهمية»، جنبا إلى جنب مع الجالية الإسلامية إلى إخلاء أرض إسبانيا التي شملت ممالك قشتالة وأراغون وجنوب إيطاليا. هذا الحدث هو نتيجة لإعادة الهيكلة بالمعنى القومي للممالك الغربية الحالية بهدف تعزيز الهوية العرقية للدولة التي تميل إلى المركزية وتهميش الجاليات الأجنبية.

عشرات الآلاف من المسلمين واليهود الإسبان اختاروا الاستقرار تحت حماية السلطان التركي في سالونيك، وإستانبول وأماكن أخرى من الشرق الأوسط. أحد الآثار المترتبة على هذا المنفى هو عودة النهوض بالمسيانية السياسية حيث رأى الكثير من الحاخامات أن في الخروج من الأرض الإسبانية واحدا من آلام الولادة الكونية التي تستعد لمجيء الحقبة الأخيرة وانتقال الجاليات إلى شرق البحر المتوسط المتاخمة لأراضي الأجداد ينظر إليها كعلامة تأكيد على اقتراب وقت ظهور المسيح المنتظر الذي بقي ظهوره حتى تلك اللحظة مرتبطا بإرادة الله. لتظهر قوة سياسية قوية تحاول تعجيل وقت ظهور المسيح المنتظر.

أما في الديانة الإسلامية ووفقا لأحاديث صحيحة، فإنَّ سيناريو المعركة سيكون في الأرض المقدسة بين سوريا وفلسطين. سوف ينزل المسيح من السماء في دمشق في موقع المئذنة البيضاء للمسجد الأموي، وسيتم القضاء على الدجال قبل البوابة الغربية لمدينة القدس، والتي تؤدي إلى مدينة اللد. علم الاجتماع الإسلامي غني بالإشارات إلى نهاية العالم وإلى الصراع الأخير بين الشعوب؛ مما يعمق الارتباط بين الأرض المقدسة والأحداث الحالية.

ومن المثير للاهتمام قراءة كتاب مارليتا لفهم كيف يدير العالم يائسا الحرب النووية من أجل إعادة بناء الهيكل والتعجيل بقدوم المسيح الذي ما زالت اليهودية التلمودية تنتظره. وهنا يخلص الكاتب إلى نتيجة في المستقبل القريب للغاية، وهو إذا تمَّ إكمال جزء صغير فقط؛ مما تمَّ التنبؤ به من خلال الكتاب الذي تعاملنا معه، فسيخضع العالم لتجارب ثقيلة؛ مما يجبر على اتخاذ خيارات محددة. فحتى لا نكون من جهة هذا التيار ونخدم بشكل سلبي يجب أن تكون لدينا القوة والشجاعة للمسيرة والقتال تحت راية الروح والحفاظ على مظاهر إنسانيتنا.

- العنوان: «حرب الهيكل: علم الغيب وتاريخ الصراع في الشرق الأوسط».
- المؤلف: جانلوكا مارليتتا.
- الناشر: إرفان للنشر, ايطاليا, 2018, باللغة الإيطالية.
- - عدد الصفحات: 132 صفحة.

* مترجمة عربية مقيمة في إيطاليا

الفضاء العمومي في القرن الواحد والعشرين
هنرييتا يوستن

سعيد الجريري *

في عصر التطورات التكنولوجية المتسارعة مثل الرقمنة والروبوتية، والانفجار الرقمي يتشكل عالم من احتمالات غير مسبوقة، ما يفجر تساؤلات جدلية، ويحفز على حوار عام حول احتمالات العالم الجديد ومفاجآته في ظل الهيمنة التكنولوجية. فرقمنة المجتمع تؤثر على الجميع، بحيث يصبح من المنطقي التساؤل عن نوع المجتمع المراد تشكيله، وطبيعة التواصل العام المباشر، بالنظر إلى أن للثورة الرقمية تأثيراً هائلاً، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، على حياة المجتمع، سواء في المجال الخاص أو في الأماكن العامة. فشكل الاتصال الجديد يبقي الأشخاص ملتصقين بهواتفهم الذكية، وبالتالي لا يحدد كيفية تواصل الناس مع بعضهم بعضاً في المجال الخاص فقط، ولكن يحدد أيضًا ما إذا كانت اللقاءات ممكنة في الفضاء العمومي وكيف تتشكل. ما يجعل الديمقراطية كمنجز إنساني تمر في الوقت نفسه بأزمة، ويفسح المجال أكثر فأكثر للشعبوية.

وفي هذا السياق يكتسب كتاب «الفضاء العمومي في القرن الحادي والعشرين» للباحثة الهولندية هنرييتا يوستن في الفلسفة والممارسة المهنية في كلية تكنولوجيا المعلومات والتصميم بجامعة لاهاي للعلوم التطبيقية، أهميته، من خلال مساءلة منهجية ذات شقين: تكنولوجي واجتماعي، يسلطان الضوء على الجانب الآخر من عالمنا الرقمي.

يتألف الكتاب من أربعة فصول، مسبوقة بتقديم السيد بيتر باول فيربيك أستاذ فلسفة الشعوب والتكنولوجيا، رئيس لجنة اليونسكو العالمية لأخلاقيات المعرفة العلمية والتكنولوجيا (COMEST)، ثم مقدمة المؤلفة التي عرضت فيها أفكار المنظرة السياسية الألمانية الأمريكية حنة أرندت (١٩٠٦-١٩٧٥) حول الفضاء العمومي مصدراً للإلهام، والقضايا المتصلة باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال، ومساهمة المواطنين باعتبارها شرطاً للحرية، في مجتمع يتسم بالمرونة، فضلاً عن كيفية تنشيط الفضاء العمومي في عالم مليء بتكنولوجيا المعلومات والاتصال، ودور مصممي هذه التكنولوجيا في المجتمع.

ويتضمن الفصل الأول مباحث تفصيلية عن: الفضاء العمومي على المحك - الفضاء العمومي في نظر أرندت - فيربيك والتأثير الديمقراطي الذي لا مفر منه - تشكيل التكنولوجيا - مسؤولية مصممي تكنولوجيا المعلومات والاتصال - تأثير التحول الرقمي على الفضاء العمومي. ويعرض الفصل الثاني الأجواء الافتراضية العامة من حيث الوجود - مناقشة المواطنين القضايا العامة عبر الانترنت - وسائل التواصل الاجتماعي والفضاء العمومي - الحاجة إلى تحديث حنة أرندت - ماذا الآن؟ ويركز الفصل الثالث على مصممي تكنولوجيا المعلومات والاتصال - أرندت والحياة النشطة - النظر إلى الممارسات المهنية المعاصرة من منظور أرندت - العمل في الممارسة المهنية اليومية - أخلاقيات العمل الجديدة. أما الفصل الرابع فمكرَّس لإنشاء الفضاء العمومي وتعزيزه - أرندت حول الفضاء الخصوصي والعمومي - فكرة أرندت عن الفضاء العمومي - مبادرة وطنية محلية من خلال تكنولوجيا المعلومات والاتصال - مبادئ تصميم لتنشيط الفضاء العمومي.

يعد مصطلح «الفضاء العمومي» عاملاً أساسيًا في فكر حنة أرندت، وتعني به تلك المساحة المشتركة التي يتمكن فيها الناس من التحدث والتعامل بحرية. لكن كيف تبدو هذه المساحة الآن؟ بالرغم من أن يوستن تؤمن بمفهوم الفضاء العمومي، إلا أنها تشعر بالقلق إزاء إمكانية وجوده في العصر الرقمي، فتكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ICT) لها تأثير غير مسبوق على حياتنا اليومية. لقد اعتدنا على البيئات التي يتم توجيهها إلى تفضيلاتنا وسجلات البحث، ونتيجة لذلك فإننا نفقد العالم المشترك ببطء ولكن بثبات، فليس ثمة «أي فضاء عمومي، وليس لدينا أي فكرة عن كيفية بث حياة جديدة في هذا الفضاء».

تقول يوستن «تناشدنا حنه أرندت أن نضمن في هذا العالم متسعًا للجيل الجديد للتوصل إلى إجاباتهم الخاصة. لأن هذا غير واضح، فالتاريخ يدلنا على أن الناس قادرون على تطوير أنظمة شمولية ... لقد قمت بترجمة أفكار أرندت إلى القرن الحادي والعشرين، آملة أن أقدم أدوات لمحترفي تكنولوجيا المعلومات تمكّنهم من المساهمة في تشكيل مجتمع حر وإنساني في آن معاً.

وترى يوستن أن الحوار العام في القرن الحادي والعشرين أصبح أكثر صعوبة. فلقد بات الناس معتادين أكثر فأكثر على التعامل عبر الإنترنت، وبالتالي فهم يفقدون نظرتهم للعالم المشترك تدريجيًا، فالتقنيات تعمل على تشكيل الفضاء العمومي الحديث، بما في ذلك الوسائط الاجتماعية واستطلاعات الرأي عبر الإنترنت وتطبيقات الأحياء أو الشوارع كدليل، وتبتلع الهواتف الذكية المجتمع كله، ويتعرض الفضاء العمومي - وهو الملاذ الحر للتشاور الديمقراطي تقليدياً - لضغوط منذ أوائل القرن، وهذا لا يخلو من المخاطر، فالناس يخاطرون بحريتهم وقدرة مجتمعهم على الصمود. فهل يكفي للأسرة، مثلاً، في الفضاء الاجتماعي، أن يكون لها سقف فوق رؤوس أفرادها، يكفي لتناول الطعام والشراب؟ وهل يكون النظر إليهم ككائنات بيولوجية يجب أن تعيش، وليس أشخاصاً يجب عليهم أن يعيشوا معًا. فمفهوم مثل «التواصل الاجتماعي» يشير إلى هذا الاختلاف بشكل ملطّف. وعلى الرغم من إجراء العديد من المناقشات السياسية، إلا أنها لا تشكل دائماً مساحة عامة فيها مجال للتنوع، والبناء الجماعي لفهم العالم؛ فهو «اجتماعي» لأنه يدعو الناس للتعامل مع الفضاء العام كغرفة معيشة خاصة بهم.

وتبحث المؤلفة في كتابها عن كثب في كيفية تشكيل التقنيات الرقمية المجتمع بشكل متزايد، وكيفية تعريض الفضاء العمومي للخطر بطرق جديدة

مختلفة عن أي وقت مضى. إنها تفعل ذلك ليس فقط عن طريق شرح أفكار حنة أرندت بطريقة يسهل الوصول إليها وإحضارها إلى الحياة، ولكن أيضًا من خلال البحث في عدد من التقنيات التي تؤدي دورًا في هذا الفضاء، وكذا صورة الديمقراطية التي تجسدها التطبيقات المتاحة ونوع التفاعل الذي تخلقه، المساحة الاجتماعية التي تشكلها.

وعلى طرف موازٍ تطور المؤلفة طرائق جديدة للجمهور لتشكيل الفضاء الجديد في القرن الحالي. وبدلاً من البكائيات على فقدان شيء ما، تبحث يوستن في الأشكال الجديدة التي يمكن أن تأخذها المساحة العامة في العصر الرقمي، وفي ماهية الدور الذي يمكن أن يؤديه المحترفون في ذلك.

ولعل يوستن، بهذه الطريقة، تطور، ضمنياً، تفسيرًا جديدًا للسياسة والديمقراطية، يقتضي تحمل مسؤولية الدور الجديد بطرائق جديدة، فما حدث من تطورات هو أمثلة معاصرة على المخاوف التي كانت لدى حنه أرندت بالفعل منذ أكثر من نصف قرن، بشأن استمرار فقدان الفضاءات العامة.

وتبدي يوستن قلقها إزاء موضوع بحثها من كون تكنولوجيا المعلومات والاتصال تحدد، باضطراد، شكل مجتمعنا، وما هي المعلومات التي نحصل عليها من خلال محركات البحث؟ وإلى أي مدى يستطيع المواطنون ذوو المعرفة التقنية المتدنية أن يجدوا طريقهم إلى مجتمعنا؟ فمحترفو المعلومات يقدمون، من خلال عملهم، إجابات عن هذه الأسئلة، وهناك وعي متزايد بأن هذا التأثير ينطوي على مسؤولية عامة أيضاً. ولعل أسئلة كهذه تمثل قضايا عامة؛ فهي تهم الجميع، ولا يمكن لمصممي التكنولوجيا أن يقرروا من تلقاء أنفسهم ما هو مرغوب فيه بالنسبة للمجتمع، بغض النظر عن مدى نواياهم الحسنة. فهذه القضايا تنتمي إلى الفضاء العمومي، والإجابة عن هذه الأسئلة إنما هي مسؤولية مشتركة من قبل كل من متخصصي المعلومات والحكومات والمجتمع.

ومع أنّ هناك اتجاهاً إيجابياً في هولندا للجمعية الملكية الهولندية لمحترفي المعلومات (KNVI) التي تعد مركزًا قويًا في شبكة عالمية من محترفي المعلومات الذين يمكنهم تقديم المعرفة والمؤهلات في المجال الواسع والمتنوع لمحترفي المعلومات - يتمثل في إيلاء المزيد من الاهتمام بإشراك المواطنين في تصميم التكنولوجيا، فإنه خلال Smart Humanity 2019 مثلاً كانت هناك عدة جلسات ركزت على مسألة كيفية إدراج

المواطنين في عملية صنع القرار، إلا أن ذلك ليس كافياً، ولا يمكّننا من الذهاب بعيداً بما فيه الكفاية، كما ترى يوستن، فالسؤال الجوهري - إلى جانب أسئلة أخرى - هو كيف يمكننا تشكيل مجتمع حر في ظل التكنولوجيا؟

ونتساءل مع يوستن: أي نوع من العالم هذا؟ ويتسرب إلينا ما يخيفها أحياناً، على سبيل المثال «إذا قرأت أن هناك في الصين كاميرات على معابر المشاة؛ لرصد من يمر عندما تكون الإشارة حمراء. والشركات الفنية مثل جوجل أصبحت قوية بشكل متزايد. إنها تدمج بعض القيم والقواعد في أنظمتها التي تؤثر على أفكارنا، دون معرفة الاتجاه الذي يوجهه هذا التأثير، إذ يتم تسجيل كل شيء عنك. حتى البلديات تعرف المزيد والمزيد عنك». وتتساءل: ماذا تفعل البلديات في هولندا مع بياناتنا؟ من الأمثلة على ذلك في هذا الصدد «الحي الذكي» المخطط له في هيلموند. بصفتك مقيماً، ستتلقى خصمًا على الإيجار مقابل الحصول على بياناتك الشخصية. ومع ذلك، يتم أيضًا تسجيل المسار الذي تسير فيه إلى المنزل وجودة الهواء والضوضاء في شارعك. يمكن للشركات استخدام هذا لاختبار منتجاتها ويمكن للبلدية استخدام البيانات لتصميم المساحات العامة بكفاءة. الهدف هو أن نتائج البيانات تعود مباشرة إلى الأشخاص الذين ينتجون تلك البيانات.

لكن يوستن، إذ ترى أن لمحترفي المعلومات مسؤولية معينة في الحفاظ على الفضاء العمومي أو تعزيزه، لا تقدم حلولًا جاهزة، وإنما تقدم مبادئ تصميم وأمثلة عديدة لتحفيزها من خلال تقديم وجهات نظر مختلفة. إن المواطنين يحتاجون إلى مزيد من المشاركة في الرقمنة البعيدة المدى للمجتمع. تقول يوستين: «يجب أن نتحدث جميعًا عما إذا كانت التطورات الحالية مرغوبة؛ لأنه متى ما تُرك كل شيء للخبراء، فإن مجتمعنا الحر والمرن سيكون في خطر مؤكد، من حيث أنه لا يمكننا إيقاف التطورات التكنولوجية، لكن لدينا دائمًا حرية الاختيار. لذا سيتعين علينا، كأشخاص، التحدث مباشرة وجهاً لوجه، عن نوع العالم الذي نريد أن نخلقه، وسيتعين علينا تحديد تلك الخيارات بأنفسنا».

«الفضاء العمومي في القرن الحادي والعشرين» كتاب متعمق وعملي مدارُهُ المحترفون الذين يؤثرون، من خلال عملهم، بشكل مباشر أو غير مباشر في تصميم المجتمع باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لكنه لا يقتصر بالتأكيد على هؤلاء فقط، فهو يقدم مدخلاً يسهل الوصول إلى عدد من مفاهيم حنة أرندت، ومحاولة جعلها ذات صلة وشيجة بالقضايا العامة الراهنة المتعلقة بالرقمنة والأتمتة. وهو في الوقت نفسه مقاربة منهجية من أجل حرية الإنسان المعاصر، فالتقنيات وتطوراتها، قبل أي شيء، إنما وجدت لتطوير الإنسان ومجتمعه، وينبغي استخدامها بما لا يتعارض مع تعزيز القيم الاجتماعية - الإنسانية الكبرى، فنحن في النهاية أناس، كما تلح يوستن، ولسنا آلات وتطبيقات وبيانات رقمية. لذا فحرية المجتمع الإنساني على محك حقيقي، ما يستوجب التأمل في تفكير هنرييتا يوستن في العواقب الاجتماعية للتكنولوجيا بناءً على أفكار حنة أرندت، كما فعلت في كتاب آخر لها عن نيتشه والسعي نحو الأفضل في عالم مهني ديناميكي.

- الكتاب: الفضاء العمومي في القرن الواحد والعشرين: حنّه أرندت مُرشداً للمحترفين
- المؤلف: هنرييتا يوستن
- الناشر: ISVW Uitgever , 2019
- اللغة: الهولندية
- عدد الصفحات: 144 صفحة

* باحث زائر في معهد هيغنز للتاريخ الهولندي

التفوق: عودة علم الأعراق لأنجيل ساينـي

فينان نبيل *

يُعرف الإثنولوجي أو علم الأعراق (Ethnology)، بأنه علم الثقافات المُقارن، وهو علم يُعنى بخصائص وإنجازات الشعوب وأحوالهم الحضارية والثقافية ومعتقداتهم، من أهدافه إعادة صياغة تاريخ الإنسان ومعرفة التغيرات الثقافية الطارئة على سطح الأرض مع تغير الأجيال، يقصد بعلم دراسة الأعراق في أمريكا وبريطانيا الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) على الرغم من أن المصطلحين لا يحملان المعنى ذاته.

تعود جذور هذا العلم إلى القرن الثامن عشر، حيث افترض الفلاسفة والعلماء الأوربيون مثل فولتير، وهيوم، وكانت، وغيرهم وجود تفاوت في القدرات العقلية بين الأجناس، ثم ظهرت فكرة وجود اختلافات في هياكل الدماغ وأحجامها لدى مختلف الأجناس مما يبرر اختلاف مستويات الذكاء، حاول «فرانسيس جالتون» ربط الذكاء لدى مختلف المجموعات العرقية والإثنية بنوعية الإنجازات الفكرية، وتحديد نسبة الرجال البارزين من ناحية التفكير والذكاء في المجموعات العرقية المختلفة، وذكر أن المفكرين اليونانيين يأتون في المقدمة، يليهم الإنجليز المعاصرون، بينما حصل الأفارقة السود على أقل نسبة من الذكاء. ثم تلا ذلك عدد من الدراسات تؤدي إلى نفس النتيجة ففي عام ١٩١٢ استعرض «فرانز برونز» بعض صفات أصحاب البشرة السوداء «الزنوج» وذكر أنهم يميلون إلى الكسل وعدم الانضباط ونقص في النشاط والسلوك البنّاء.

أشار بعض العلماء في العشرينيات ومنهم «فلويد ألبورت» إلى أن العادات الاجتماعية الموروثة والعوامل البيئية تشكلان جزءاً من الاختلاف، وذكر فلويد أن ذكاء العرق الأبيض أكثر تعقيداً وتنوعاً من بقية الأعراق. وفي الأربعينيات اعترف علماء النفس بأهمية العوامل البيئية والعوامل الثقافية إلا أن ذلك لم يمنعهم من التمييز والتحيز فقدموا تفسيراً أوضح للفوارق بين الذكاء، وأصبحت هذه الأفكار واسعة الانتشار فيما بعد.

تقول آنجيل ساينـي عن «العرق» إنه مفهوم حديث نسبيا، وكان أول استخدام له في القرن السادس عشر للإشارة إلى مجموعة من الأشخاص من عائلة أو قبيلة، ولم يكن يشير إلى الدلالات التي يحملها اليوم، لم تكن تتسع لتشير للمظهر الخارجي كاللون على سبيل المثال، لقد أوضحت أنه حتى القرن الثامن عشر أثناء عصر التنوير الأوروبي،كان هناك اعتقاد أن لون البشرة يتحول نوعيا وفقا للمنطقة الجغرافية، فأصحاب البشرة الداكنة يعيشون في الأماكن الحارة. ولكن إذا انتقل هؤلاء إلى أماكن باردة ستتأثر بشرتهم بشكل أقل بالحرارة.

كان «كارلوس لينيوس» ١٧٨٥ عالم النبات السويدي من أوائل من بدأوا في تصنيف البشر بطريقة قد نسميها «عنصرية»، في أربع فئات تتوافق مع الأمريكتين وأوروبا وآسيا وأفريقيا، بألوانها المفترض أنها تميزها، وهي الأحمر والأبيض والأصفر والأسود.قد يرى شخص ما أن لينيوس كان يحاول فقط أن يفعل ما يفعله علماء التصنيف، لكن ساينـي وضحت أن تصنيفات «لينيوس» ذهبت إلى ما هو أبعد من مجرد المظهر، فلم يكتف بوصف الأمريكان الأصليين بأن لديهم شعرا أسود مستقيما وأنفا عريضا، ولكن أيضا أنهم ذوو طبيعة خاضعة، كما لوكانت تلك حالتهم الطبيعية، كما شمل فئات فرعية من البشر ووصفهم بأنهم أشباه الوحوش،كما وضع الرجال في تصنيف أعلى من النساء، والجنس الأبيض أعلى من باقي الأجناس، واستخدم التسميات ذات الحدين التي أصبحت مألوفة الآن لتصنيف الكائنات الحية على سبيل المثال (الإنسان العاقل) .

توسعت ساينـي في إلقاء الضوء على أكثر البيولوجيين وعلماء الأحياء تورطا في التطور التدريجي للأفكار التي سنجدها غير علمية أو غير مستساغة «تشارلز داروين»، الذي ذهب إلى تصنيف مشابه، كان «توماس هنري هوكسلي داروين» حارسا ومدافعا عن نظرية «الانتقاء الطبيعي»، و«البقاء للأصلح» عنصريا إلى حد بعيد، فهو يرى أن كل البشر لم يخلقوا متساوين، وفي مقاله عن تحرير العبيد السود، كتب أن الشخص الأبيض العادي لديه عقل أكبر، وأن أعلى مكان في التسلسل الهرمي للحضارة لن يكون أبدا من نصيب السود، كما أوجد تدرجات في التصنيف البشري فوضع الرجال أعلى درجة من النساء، والأجناس البيضاء تتفوق على الآخرين، وأجناس عليا وأخرى متوحشة. فشل داروين في أن يضع قوانين واضحة تفسر التمايز وأسبابه.أصبح الأمر أكثر توهجا في أعقاب انتشار الاستعمار، والذي كان من نتائجه انتشار العلماء الذين أداروا أيديهم لوضع تصنيف يجعل من الغزاة مجموعة مذهلة مختلفة ومتميزة عن البشر.

يبدو أن وضع الأشخاص البيض على قمة تصنيف تسلسل الهرم البشري كان أمرا بديهيا في أوائل القرن العشرين،حيث تخلل أفكار كثير من علماء الأحياء والأنثربولوجيا، وعلم اليوجينا «تحسين النسل»، وضع عدم وجود أدلة على هذه الادعاءات الجارفة عبئا على جهودهم، رغم محاولاتهم اليائسة لإيجاد أسباب علمية لتبرير «كره الآخر» أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث بذل الباحثون المرتبطون بالنازيين أقصى ما يستطيعون لإثبات «التفوق المفترض» لجنسهم الآري.

بدأت الأمور تتغير بعد الحرب العالمية الثانية، في ظل الرعب السائد من علم العرق وتواطؤ علمائه، بذل علماء الأحياء وعلماء الأنثروبولوجيا في الغرب قصارى جهدهم لفعل ما يفعله المنتصرون،وأعادوا كتابة المقالات والأبحاث، وإلغاء أي بحث مرتبط بهذه الأفكار العنصرية الضارة في الولايات المتحدة وبريطانيا وتنحيتها بعيدا، وتم إعادة تسمية أقسام الجامعة وانتقل العلماء إلى مجالات جديدة. شهدت الولايات المتحدة والعالم تبدلا في الموقف المعلن باتجاه إقرار المساواة المطلقة بين الناس جميعا من حيث الطبيعة، والإصرار على أن الفروق العرقية سطحية ومحصورة بالجسد دون العقل، بل إن العقل عند الولادة مادة خام قابلة للملء والتوجيه من محيطه، وإذ كان ثمة اختلاف في الأداء الدراسي بين الأعراق، فلا بد من إعادته إلى الخلفية الاجتماعية والتاريخية.لا يزال هذا الموقف هو الأصل المعتمد رسميا في الخطاب العام كما في المواقف العلمية. غير أنه لم يعد منسجما مع واقع بحثي متكاثر، ولا سيما استطلاعات «معدلات الذكاء»، بما يُفترض في طبيعتها الحسابية من دقة علمية.

كما عقدت اليونسكو عام ١٩٥٠ بحضور مائة من العلماء وصناع السياسات والدبلوماسيين مؤتمرا وضعوا خلاله بيانا يهدف إلى تفكيك فكرة العرق، لوضع حد للعنصرية وأبحاثها، وتوصل العلماء إلى اتفاق عام يعترفون فيه «أن

الجنس البشري كله ينتمي إلى نفس النوع، وهو الإنسان العاقل. وبذلك يبدو أن الخير فاز على الشر».

ترى سيناي أن علم العرق في الحقيقة لم يختف بشكل مطلق، ولكن بدأ يتوارى إلى الظل تموله مؤسسات غامضة، وأفراد لهم صلات خفية بدعاة تفوق الجنس الأبيض»، مستخدمين مجلات خاصة تسعى إلى نشر الاختلافات الواضحة بين الناس تحت اسم الحرية الأكاديمية في إجراء تحقيق نزيه في الحالة الإنسانية، اتخذ الانضباط البيولوجي الجديد من علم الوراثة إطارا له. اتفق العلماء على أن هناك مكونات جينية للذكاء، وأوضحت الأبحاث التي أجرتها الولايات المتحدة في الثمانينات في مشروع يسمى «منحنى الجرس» مستويات مختلفة بين الأعراق المتعددة،فذكر تشارلز موراي وريتشارد هيرنشتاين بأن الأميريكين الأفارقة كانوا أقل ذكاء من الأمريكيين البيض، وأن الاختلافات الوراثية بين الأعراق كانت عاملا رئيسا في هذا الاختلاف. أثار الباحث تشارلز موراي في التسعينيات ضجة شديدة، وواجه نقدا وإدانة حين أصدر دراسة في هذا المضمار تضع الأميركيين من أصل إفريقي في الترتيب الأدنى في «معدلات الذكاء»، وتمنح اليهود الأشكناز والآسيويين المراتب الأول .والإضافة الجديدة الهامة إلى «علم الأعراق» هي إمكانية توضيح الأصول العرقية من الحمض النووي الوراثي، وتطبيق تقنيات البحث هذه على المجتمعات القائمة، لتوضيح تمايزها وتماهيها لإظهار انفراد أقلية ما عن محيطها مثلا، أو لإثبات وحدة شعب منتشر في أصقاع عدة، أو حتى على مخلفات الحضارة البائدة لاستنسابها.

في الواقع لا يوجد دليل قاطع أن إحدى العرقيات مهيأة وراثيا لتكون أكثر ذكاء من غيرها، فإذا تتبعنا، معظم التسلسل الجيني نجد أن الأمريكيين من ذوي الأصل الأفريقي تعود أصولهم إلى أصول أوربية، ويمكن تسميتهم الأمريكي الأفريقي الأوربي-وفقا لبعض علماء الوراثة-، نستنتج من ذلك أن الأعراق مختلطة أكثر بكثير مما يمكننا أن نعول على المظاهر وحدها، كذلك فإنَّ الاستخدام الشائع لكلمة «إثنية» لا يرسم خريطة لكيفية تفكير علماء الوراثة في الأنساب.

تقدم الكاتبة حقائق غير مريحة تبرر عدم رضاها عن علم العرق، لا سيما وأنَّ الكتاب يأتي بعد ظهور العديد من العنصريين الفكريين مثل ريتشارد سبنسر وغيره ممن يحتالون باسم الفكر، وانتشار أفكارهم المختلفة. يوضح كتاب«التفوق» النوايا الخبيثة والأغراض المدمرة وراء علم العرق، فالقوميات العنصرية تشكل تهديدا متصاعدا في جميع أنحاء العالم، يستعين القادة بعلماء العرق التابعين

لهم ممن لديهم تحيز فكري بشأن قضايا معينة مثل الهجرة والمساواة، ويعتبرون أنهم يضيفون إليهم ثقلا فكريا. وسواء كانت أبحاثهم صحيحة أم لا، فإنَّ صوتا واحدا يحدث فرقا كبيرا في تفوق الجنس الأبيض بغرض الوصول إلى السلطة. توضح ساييني الدور الذي لعبه علماء العرق في الأيديولوجية النازية والهولوكوست، ولم تتوقف المشكلة عند هذا الحد؛ فهم مازالوا يناضلون من أجل تأكيد مفهوم العرق، كما ترى أنَّ «جيمس واطسون» مكتشف الحمض النووي DNA))، والحائز على جائزة نوبل يتبنى وجهات نظر عنصرية بقوة، فهو يرى أن أن الجينات تؤدي إلى فروق في النتائج بين السود والبيض في اختبارات الذكاء مما جعل مختبر «كولد سبرينغ هاربور» إلى تجريده من ألقابه الفخرية لتصريحه بملاحظات تربط بين مستوى الذكاء والعرق، وترى أنّ السود أقلّ ذكاءً من البيض دون سند علمي حقيقي.

أثار الكتاب تساؤلات هامة حول نزاهة «علم العرق ككل» وأكد الكتاب بقوة أننا جميعاً متشابهون من الناحية البيولوجية أكثر من كوننا مختلفين، وأن فكرة العرق «بناء اجتماعي» أكثر منه جيني، ومن المحتمل وجود اختلافات جينية بين عضوين من نفس العرق، أكثر من الاختلاف الموجود بين شخصين من أعراق مختلفة؛ فمن الناحية الإحصائية يمكن أن تتماثل البريطانية البيضاء على الرغم من مظهرها المختلف تماماً مع جارتها الهندية المولودة في الطابق الأسفل على حد تعبير ساييني. ومع ذلك، لم يوقف هذا تاريخا طويلا من محاولات العلماء لتبرير وجهات نظرهم بشأن الأشخاص الذين لا يشبهونهم.

يوضح الكتاب أنَّ العلم يتأثر بأولئك الذين يقومون به، والافتراضات التي يضعونها والبيانات والاستنتاجات التي يختارونها لينشروها، وتلك التي يتجاهلونها بشكل واضح، وهذا ما يجعل هذا الكتاب غير مريح لأولئك الذين يعتقدون أن علم «العرق» موضوعي وصفي له حقائق، فهو يؤكد على ضرورة التشكيك في قراراتنا وتحيزاتنا والاستماع إلى وجهات نظر أوسع.

يقدم كتاب التفوق قصة مثيرة للقلق عن استمرار الاعتقاد في الاختلافات العرقية والبيولوجية في عالم العلوم. بعد انتهاء أهوال النظام النازي التي شهدها العالم في الحرب العالمية الثانية،أدارت الأوساط العلمية ظهرها لدراسة «اليوجينا» أو علم تحسين النسل، والاختلاف العرقي العنصري. وإذا كان ثمة تحفظ لا يزال قائما في الولايات المتحدة وعموم الغرب إزاء «الدراسات العرقية»، فإن التنظير حول الفوارق ومقتضياتها يبدو أكثر إطلاقا للعنان في الدول التي كانت سابقا ضمن المنظومة الاشتراكية، ومنها تنتقل إلى هامش الفكر في العالم الغربي ثم إلى عموم المجتمع والثقافة.

تبرأ الغالبية العظمي من العلماء والفقهاء من تلك الأفكار، إلا أن الفكرة تمكنت من البقاء على قيد الحياة بطريقة أو بأخرى في فكر العلماء عن الاختلاف البشري وعلم الوراثة. توضح لنا ساييني كيف يتمسك العلماء مرارا وتكرارا بأن فكرة العرق حقيقة بيولوجية، وذلك بعد تحليلها لأعمال العلماء المعاصرين ودراساتهم عن التنوع البيولوجي، وتؤكد ساييني أن الاعتقاد بأن الدراسات العنصرية في طريقها للخروج من مضمار البحث العلمي، وأن منحنى القيم السمحة يتجه نحو التقدمية، وأن الأبحاث التي تنصب على أن هناك مجموعة من البشر أكثر ذكاء وموهبة،أو أكثر قدرة جسدية من الآخرين ستختفي، لهو اعتقاد خاطيء. ترى ساييني «العنصرية الفكرية موجودة دائما»؛ إنها بذرة صغيرة سامة في قلب الأوساط الأكاديمية، مهما بدا أنها ماتت فإنها تحتاج إلى القليل من المطر، وهي الآن تمطر».

- العنوان: التفوق: عودة علم الأعراق
- المؤلف: أنجيك ساييني
- الناشر: بيكون بريس «الولايات المتحدة الأمريكية - 2019
- اللغة: الإنجليزية

* كاتبة مصرية

حجج فاسدة: أهم الأغلوطات في الفلسفة الغربية

زينب الكلبانية *

ما فتئ بنو البشر يحاجون على آرائهم بمختلف الحجج، وما فتئ علماء المنطق، شأنهم في ذلك كشأن الصيارفة العاملين على تمييز جيد العملة من فسادها، كما يبينون صحيح الحجج من واهنها. وهذا الكتاب كتاب جامع في الحجج الفاسدة التي يطلق عليها علماء منطق الحجاج اسم «المغالطات». وهو كتاب عملي لأنه يأخذ بيد الإنسان ليدله على مواطن الخلل في أغلب الحجج التي ندلي بها في حواراتنا اليومية.

أكثر من هذا، ينبش هذا الكتاب في حجج العديد من الفلاسفة التي كان ظاهرها الصحة وباطنها البطلان؛ وذلك مثل المصادرة على المطلوب التي تصادر ما تريد إثباته والحجة الشخصية التي تتجه نحو شخص المحاور وليس نحو أفكاره، وغيرها من باطل الحجج. وذلك عون للقارئ على تقوية حسه النقدي ومهارته الاستدلالية.

من أي وقت مضى تقرر تجنب مطعم بسبب وجبة واحدة سيئة؟ اختر منتجًا لأن أحد المشاهير أقره؟ أو تجاهل ما يقوله أحد السياسيين لأنها ليست عضوًا في حزبكم؟ لطالما كان الناس يناقشون، أو يتحدثون، أو يقنعون، أو يدافعون، أو يبشرون، أو يبرزون، أو يذكرون قضيتهم بطريقة أخرى، فإنّ حججهم تكون عرضة للافتراضات الخاطئة والمنطق الخاطئ. بالاعتماد على تاريخ طويل من الأكاذيب المنطقية والأخطاء الفلسفية، توضح الحجج السيئة كيف تصبح الحجج المضللة وما يمكننا القيام به للكشف عنها في خطاب الآخرين وتجنب استخدامهم لأنفسنا. تقع المغالطات - أو الاستنتاجات التي لا تتبع من فرضيتها - في معظم الحجج السيئة، ولكن قد يكون من السهل التعثر في مغالطة دون إدراكها. في هذا الدليل الواضح والموجز للحجج الجيدة التي أصبحت سيئة، روبرت آرب وستيفن باربون ومايكل بروس يأخذون القراء من خلال ١٠٠ أغلوطة من أكثر المغالطات السيئة السمعة في الفلسفة الغربية، ويحددون أكثر الأخطاء الشائعة والمآزق والنهايات المسدودة للحجج. سواء أكان هناك مثال لتكاليف غرقت أم لا، يجب تأكيد ذلك، أو نقل الهدف المنشود، أو التساؤل عن السؤال، أو منحدر زلق دائمًا، فإن كل مغالطة تنطوي على أمثلة مستمدة من السياسة المعاصرة، والاقتصاد، والإعلام، والثقافة الشعبية.

في وقت من الأوقات التي يكون فيها من الأهمية بمكان أن نكون قادرين على تحديد وتحدي الحقائق النصفية الخطابية، يساعد هذا الكتاب القراء على فهم الجدال المعيب بشكل أفضل وتطوير المعرفة المنطقية. تعد الحجج الفاسدة، التي لا مثيل لها في نطاق التغطية، أداة أساسية للطلاب الجامعيين والقراء العامين الذين يتطلعون إلى صقل تفكيرهم النقدي ومهاراتهم الخطابية.

دعونا نتحدث عن بعض أهم المغلوطات التي سردها المؤلف في كتابه، إذ يقول إن التأكيد على النتيجة هو شكل خاطئ من التفكير في المنطق الرسمي، الذي يحدث عندما تؤكد الفرضية البسيطة لعلم القياس المنطقي الافتراضي نتيجة البيان الشرطي. العبارة الشرطية هي جملة «إذا»، «بعد ذلك» والتي تعبر عن رابط بين السابق (الجزء بعد «إذا») والنتيجة (الجزء الذي يلي «بعد ذلك»). العبارة الشرطية لا تؤكد على السوابق أو النتيجة. إذ إنه ببساطة يدعي أنه إذا كان السابق غير صحيح، فإن النتيجة ستكون غير صحيحة أيضا، على الرغم من أن تأكيد النتيجة هو نموذج وسيطة غير صالح وأحيانا يكون مخطئا، فإن الوسطية الصالحة تشكل نموذجا جيدا. "Modus ponens" هو نموذج الحجج الصحيح في الفلسفة الغربية؛ لأن حقيقة المبنى تُضمن حقيقة الاستنتاج؛ ومع ذلك، فإن تأكيد النتيجة هو نموذج وسيط غير صالح؛ لأن حقيقة المبنى لا تضمن حقيقة الاستنتاج. كما يركز الكتاب على واحدة من أهم المغالطات الشائعة في الفلسفة الغربية، وهي «إنكار السوابق». مثل التأكيد على النتيجة، إنكار السوابق هو أيضا شكلٌ خاطئ من المنطق الرسمي. هذه المرة، تحدث المشكلة عندما ترفض الفرضية البسيطة لعلم القياس المنطقي الافتراضي سابقة للبيان الشرطي. وإن رفض السوابق يرتكب خطأً في افتراض أنه إذا تم رفض السوابق السابقة، فيجب رفض النتيجة. مثل "modus ponens"، إذ أن رسوم modus هي شكل وسيط صالح؛ لأن حقيقة المبنى تضمن حقيقة الاستنتاج؛ ومع ذلك، فإنّ رفض السجل السابق هو نموذج وسيط غير صالح لأنّ حقيقة المبنى لا تضمن حقيقة الاستنتاج. يتم تأكيد بطلان حرمان السوابق من خلال جدول حقائق مقدمة بشكل كاف وشاف في الكتاب، الذي لا يتسع المقام للحديث عنه في هذا المقال. يعتبر القياس المنطقي القاطع هو أساس المنطق الأرسطي، ومنطق أرسطو هو أساس المنطق الحديث. كانت المغالطات الصحيحة أخطاء في التفكير بناء على الغموض، مثل تلك التي يتحدث عنها أرسطو في «التدوينات الفلكية» والتي يعلق عليها جالين في دي كابتيونيبوس (عن المغالطات). كل مغالطة قاطعة، هو انتهاك لقاعدة التشكيل المنطقي الصحيح. تتضمن المغالطات الرسمية، وفقا لما ذكره ألدريتش، أي مبرر ينتهك قانون الهوية أو قانون عدم التناقض أو قانون الوسط المستبعد.

كما تحدث الكتاب عن مغالطة بناء القياس المنطقي الصحيح، إذ يجب أن يحتوي أي مخطط مقطعي على ثلاثة مصطلحات فقط. هذه المصطلحات منذ زمن أرسطو كانت تسمى «الرئيسية، القاصر، والوسطى». ويطلق على القاصر أيضا «التطرف» في القياس المنطقي، حيث إنّهما يقعان على طرفي المدى المتوسط. في منهج ساري المفعول، ترتبط المصطلحات

الرئيسية والثانوية بالاستنتاج، وعلاقتها ضرورية للغاية ومبررة تماما من قبل المباني وحدها. عندما تكون هناك أربعة فصول، إما أن تكون المصطلحات غير مرتبطة ولا يكون هناك أي خصم ممكن، أو أن هناك العديد من المقاطع. من الواضح أيضا أنّه في كل مخطط لفظي يجب أن يكون كلا المبنيين مثل الاستنتاج.

تسمى مغالطات المنطق الفئوية مغالطات رسمية لأنها تمثل جميعا انتهاكات شكل مقطعي مناسب. يتناول أحد الفصول مغالطات المصطلحات الرئيسية والثانوية غير المشروعة. تتعلق مغالطات المصطلح الرئيسي غير المشروع والعبارة غير المشروعة المصاحبة للتوزيع في القياس المنطقي. العملية غير المشروعة للمصطلح الرئيسي هي نفسها تماما، باستثناء أننا سنقوم بمعالجة المصطلح الرئيسي بشكل غير مشروع بدلاً من القاصر. لذلك إذا كنا نتحدث فقط عن شيء ما، فلا يمكننا المضي قدماً في اختتام شيء ما حول هذا الشيء، ولا يمكننا توزيع أي شيء في الاستنتاج الذي لم يتم توزيعه في المبنى. لكي لا نضطر إلى توزيع ما تم توزيعه في المبنى في النهاية.

ومن المغالطات الأخرى الشائعة في الفلسفة الغربية المسماة «الوسط غير الموزع» المقصود بـ «التوزيع» وهو وصف امتداد المصطلح، أي عدد الأشياء التي ينطبق عليها. في الأساس، فإنّ المطالبة بتوزيع المدى المتوسط في واحد على الأقل من المباني يضمن وجود بعض التداخل بين المقرين؛ بحيث يمكن استنتاج علاقتهما. إذا كان المصطلح الأوسط غير موزع، فإنّ الوسيطة غير صالحة. هناك عدد من الطرق التي يمكن بها تجنب هذه المغالطة؛ أي أن الطريقة لتجنب مغالطة الوسط غير الموزع هي إنشاء أي مخطط منطقي صحيح. في حين أن جميع المقاطع المنطقية المتوسطة غير صالحة جميعها، يجب أن يكون لدى المقاطع الوسطية الموزعة حتى تكون صالحة. وبالتالي فإن توزيع المدى المتوسط شرط ضروري ولكنه غير كاف لعلم القياس المنطقي.

كما يتناول الكتاب مغالطة تسمى "ad hominem bias". شكل وسيطة hominem الإعلانية هو إحدى الطرق لجذب شخصية الآخر. إن الاستنباط المباشر أو غير المباشر لشخصية الشخص الذي يوحد مختلف أشكال حجة hominem الإعلانية. إن العديد من حسابات الكتب المدرسية الخاصة بحجة

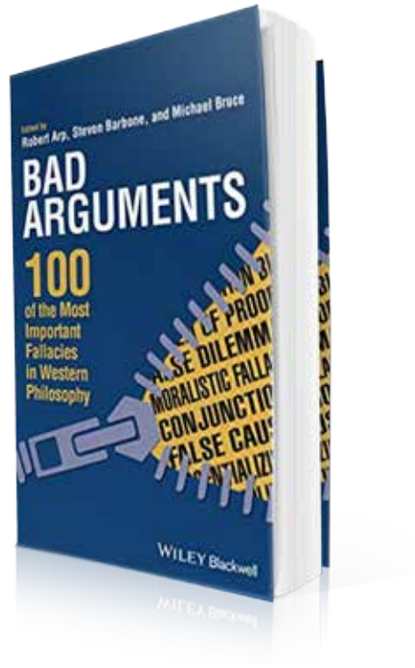

hominem للإعلان تكون متعجرفة جدا في نهجها، وغالبا ما تتعامل مع نموذج وسيط hominem للإعلان على أنه عادة ما يكون غير صحيح. كما هو الحال مع جميع أشكال وسيطات hominem الإعلانية، فإن "ad hominem bias" له استخدامات خاطئة ومشروعة. فإن الاستخدامات الخاطئة لنوع وسيطة hominem الإعلانية ضارة، جزئيا، نظرا لصعوبة الاستجابة لها بطريقة فعالة. كما يبحث المؤلف في بعض الأمثلة لتوضيح استخدام التحيز المؤيد المزعوم ذي الصلة بالحجة أو الموضع.

كما تحدث الكتاب عن "hominem" الظرفية. إذ يختلف التنوع الظرفي في حجة hominem الإعلانية عن الشكل المباشر لأنه بدلا من مهاجمة شخصية الوسيط بشكل مباشر، يسترعي الانتباه إلى عدم التناسق في الظروف الشخصية لمقترح التزاماته ومحتواه أو موقفه كوسيلة للتشكيك في صدقه أو مصداقيته. كما هو الحال مع جميع أشكال وسيطات hominem الإعلانية، فإن "hominem circumstantial" له استخدامات خاطئة ومشروعة. الاستخدامات الخاطئة لنوع وسيطة hominem الإعلانية ضارة، جزئيا، نظرا لصعوبة الاستجابة لها بطريقة فعالة. واحدة من القضايا الرئيسية مع حجج hominem الإعلانية هي المعرفة الخاطئة والتي ليست كذلك.

لطالما كان ينظر إلى المشاعر باعتبارها مشبوهة بسبب قوتها في التغلب علينا، وإن الخوف من العواقب السلبية هو حافز كبير، إذ أن الحجة تنادي بالقوة أو تحاول جعل الجمهور يشعر بالخوف من التهديد أو احتمال الأذى من أجل حملهم على قبول الاستنتاج. يركز أحد فصول الكتاب على واحدة من المغالطات الشائعة في الفلسفة الغربية وهي نداء القوة أو الخوف. قد يكون إثارة الخوف أو التهديد في بعض الأحيان جزءا شرعيا من الجدال، خاصة إذا كانت العاطفة جزءا مما هو في القضية. ومع ذلك، غالبا ما تكون نداءات الخوف أو القوة غير مرتبطة بالنقطة التي هي محل النقاش، وتعتبر هذه محاولات خاطئة لإقناع الجمهور بقبول حجة أو موقف الفرد. وبالتالي، تكمن المشكلة المركزية فيما يتعلق بالطعون بالقوة أو خوف الحجج في معرفة ما إذا كانت هذه الطعون مشروعة وعندما تكون خاطئة. يعالج الفصل هذا من خلال استخدام العديد من الأسئلة الهامة.

كما يركز الكتاب على مغالطة «الافتراض غير المبرر». إذ أن الافتراضات غير المبررة هي ادعاءات أو معتقدات لا تملك سوى القليل من الأدلة الداعمة، والأشياء التي قد نعتبرها أمرا مسلما به كأفكار حقيقية، أو مجرد أفكار زائفة تماما ورثناها دون تفكير. عندما نتسبب في استخدام افتراضات ضمنية أو اقتراحات أخرى تكون حقيقتها غير مؤكدة أو غير قابلة للتصديق، فإننا نرتكب مغالطة الافتراض الغير المبرر، وحقيقة استنتاجاتنا تتأثر بشدة. التحيزات والقوالب النمطية هي بعض الطرق الشائعة التي نتخذ بها افتراضات لا مبرر لها. إن المفتاح لمنع هذه المغالطة هو الدليل، إذ أن الافتراضات المبررة لها أدلة وطرق لإثبات حقيقتها بكل تأكيد. ومن الأفضل عدم الاحتفاظ بشيء صحيح أو قابل للتطبيق دون إثبات أنه صحيح وقابل للتطبيق. هذا يعني أننا نحتاج إلى تقييم طرق تفكيرنا وتكوين المعتقدات بشكل نقدي.

- الكتاب: حجج فاسدة (مائة أهم الأغلوطات في الفلسفة الغربية).
- المؤلف: تأليف جماعي
- سنة النشر: 2018
- الناشر: ويلي بلاكويل

* كاتبة عُمانية

إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

- الكتاب: ما يشغل اهتمامنا: اقتراحات من أجل بيئة نفعية
- المؤلف: إميلي هاش
- الناشر: دار لاديكوفيرت.فرنسا
- تاريخ النشر: 2019
- عدد الصفحات: 247 صفحة
- اللغة: الفرنسية

مع الأزمة البيئية الخانقة، بات الهواء الذي نتنفسه، والمياه التي نشربها، والغابات التي دمرنا، شاهدة على تورطنا وتخلينا عن علاقتنا النفعية المحدودة بالبيئة التي كانت تحكمها أخلاق بيئية مبنية على المنفعة والاحترام والتقدير والمشاركة. الآن لم تعد الطبيعة من حولنا مناظر بديهية، يمكن التعامل معها بلامبالاة؛ لأننا اكتشفنا أنها لم تعد موارد أبدية، بمعنى آخر لم تعد وسيلة كافية لتلبية احتياجاتنا.

مازالت البشرية عمياء وتحتاج إلى أخلاق بيئية، تشمل العلاقات بين البشر والحيوانات والجبال والمحيطات والمناخ.. إلخ ينطوي كتاب إميلي هاش على مقترحات جديدة. لا يمكن أن يكون هذا مجرد انحدار بسيط للمبادئ العالمية التي تم تأسيسها بشكل مسبق، ولكن يجب أن تستند إلى العديد من التجارب الجارية، التي أجراها العلماء وكذلك النشطاء البيئيون، والاقتصاديون وكلها تبشر بأزمة حقيقية تبدأ مع بداية منتصف القرن الحالي.

من خلال التركيز على وصف ما يهمنا وعدم وصف ما يجب القيام به، دون الفصل هذا القلق الأخلاقي عن عواقبه السياسية، تستكشف إميلي هاش طرقًا جديدة لأخذ هذه الكائنات المختلفة في الاعتبار. تقترح مقاربة براغماتية للقضايا البيئية: يتعلم الأمر بطريقة تعلم لتطوير الحلول الوسط من أجل منح الفرد فرصة لبناء عالم مشترك، مطالبة بعدم التوقف عند السؤال التالي: "من المسؤول؟ ولكن بقبول سؤال آخر أكثر صعوبة: "كيف نجيب؟ "إجابة تقنع الحاضر والمستقبل وتجعل المسؤولية تنحصر في إيجاد حلول نفعية للجميع.

- الكتاب: استكشاف العالم
- المؤلف: رومان برتراند
- الناشر: دار سوي. فرنسا
- تاريخ النشر: 2019
- عدد الصفحات: 528 صفحة
- اللغة: الفرنسية

يعود كتاب "استكشاف العالم" إلى حقب زمنية حاسمة في تطور البشرية وتبدأ من القرن السابع إلى القرن العشرين، وهي غنية بالمفاجآت، التي تعكس التجديدات العميقة التي حولت رؤيتنا لما كان يسمى "الاكتشافات الكبرى". إنّ التواريخ "المتعارف عليها"، التي أعيد النظر فيها في ضوء قراءة نقدية تبرز مناظر طبيعية وشخصيات مجهولة. كما يكشف فداحة الخطاب الذي يحتفظ بالامتياز والمنفعة لأوروبا، ويجمع بين استكشاف العالم و"الدخول إلى الحداثة" كما يوثق الكتاب للرحلات الطويلة الأخرى خارج أوروبا. كما يتعلق الأمر أيضًا بالسؤال، على عكس التاريخ البطولي للحملات البعيدة التي تنسب مزاياها إلى عدد قليل من الشخصيات، للتذكير بأن الأمر مترع بالكثير من الأوهام، بل والمزيد من المصالح، لتحقيق "الحلم" أن كريستوفر كولومبوس لن يبحر أبداً بدون سفن إخوان بينزون. إنها مسألة استبدال الأماكن واللحظات والوجوه بثقافات الورق المقوى ومعتقدات الورق المعجّن؛ لإظهار حالات الفشل، أكثر من حالات النجاح. على سبيل المثال إبراز حطام السفن في مصبات الأنهار بنفس طريقة دخول المنتصرين إلى المدن المستعمرة؛ يكشف الكاتب أن الاستكشافات ليست اختراعا أوروبيا وإنما صنعته البشرية جمعاء من الملاحين العثمانيين والصينيين والعرب وغيرهم. جميعهم فاعلين في المتحف الخيالي للتاريخ العالمي، لهذا يجب تسليط الضوء على رواد الملاحة الحقيقيين.

يكتب رومان برتراند رفقة فريقه كتابا مذهلا عن تاريخ العالم وآخر لأوروبا. نستكشف من خلال تسعين مقطعا سرديّا مغامرات اقترحها ثمانون من أفضل المؤرخين في العالم.

- الكتاب: لماذا فقدنا العالم، وكيف يمكن العثور عليه؟
- المؤلف: ماثيو ب كروفورد
- الناشر: دار لاديكوفريت.فرنسا
- تاريخ النشر: 2019
- عدد الصفحات: 352 صفحة
- اللغة: الفرنسية

يتساءل ماثيو ب كروفورد عن تشظي حياتنا العقلية بحيث صارت الأجيال المعاصرة مجرد ظلال قابعة في كهف المتعة الافتراضية المجردة هاربين من صعوبات العالم، نحن ننجرف بحثًا عن رفاه منفصل عن الجسد واستقلال طفولي يضعنا تحت رحمة مستغلي "وقت الدماغ المتاح".

بالاعتماد على مرجعيات تستند لديكارت، ولوك، وكانط، وهايدجر، وجيمس أو ميرلو بونتي، يعيد الفيلسوف النظر في العلاقات بين الروح والجسد، والإدراك والحركة، ويرى القدوة في براعة العمليات العقلية التي يقدمها الطهاة، ولاعبو الهوكي، وسائقو السباقات أو معلمو مدارس الحكمة والتحكم والتطوير الذاتي.

وذلك لمواجهة فردية دون أفراد حقيقيين وحرية مزعومة دون قدرة على التصرّف، يناشد المؤلف ببراعة التزاما ومشاركة جديدة في الواقع تأخذ بعين الاعتبار الطابع "المتجسد" لوجودنا لعلنا نتصالح مع العالم.

- الكتاب: قرن من اللاجئين
- المؤلف: برونو كبانيس
- الناشر: دار سوي. فرنسا
- تاريخ النشر: 2019
- عدد الصفحات: 192 صفحة
- اللغة: الفرنسية

كان القرن العشرون قرن النزوح والهجرة. فمنذ نهاية الحرب الباردة، لا تزال أزمة اللاجئين العالمية قائمة حتى اليوم. في الواقع، يتزايد عدد اللاجئين بشكل مطرد نتيجة النزاعات الأخيرة في أفريقيا والشرق الأوسط وأمريكا الوسطى، يتزايد عدد اللاجئين بشكل مطرد.

خلال العقود الأولى من القرن العشرين، شهدت الحرب العالمية الأولى والسنوات التي تلت ذلك تطوراً هائلاً في نشر صور لمختلف المآسي الإنسانية، التي أنجزها ونشرها أفراد ومنظمات مكرسة للمساعدة وإنقاذ السكان في أوضاع الخطر. استأجرت المنظمات غير الحكومية الكبيرة مصورين لتوثيق عنف الحرب وكذلك الحياة في مخيمات اللاجئين. وقد حرص المصورون الأسطوريون في القرن العشرين، مثل روبرت كابا ومارغريت بورك وايت، على الاحتفاظ بسجل مرئي عن الحرب الأهلية الإسبانية والحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام..

يتتبع هذا الكتاب تاريخ اللاجئين منذ بداية الحرب العالمية الأولى إلى أزمة اللاجئين الحالية في سوريا والبلقان والبحر الأبيض المتوسط والحدود الأمريكية المكسيكية من خلال تقديم شهادات بصرية رمزية. كما يشكك في أهداف استخدام التصوير الفوتوغرافي لأغراض إنسانية. لأنّ التصورات العامة عن اللاجئين تستخلص مباشرة من خلال الطريقة التي يتم بها تقديمهم في أغلب الأحيان وهي تتراوح بين صورة المأساة وصورة الضحايا وبين صور القوارب والمخيّمات، أو صور الأطفال في وضعيات مؤثرة، لكن اليوم بادر بعض المصورين النشطين إلى توسيع هذه الرؤية الضيّقة من خلال منح اللاجئين دوراً حاسماً في طريقة حياتهم ونضالاتهم البطولية وقدراتهم الإبداعية التي تصنع من اليأس أملا ومن الموت حياة. الكتاب شهادة مؤثرة ودامغة على أن مآسي القرن الواحد والعشرين هي امتداد لأخطاء القرن العشرين.

إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات في اللغة الألمانية (رضوان ضاوي)

- الكتاب: تعدد الثقافات في اللقاء بين الشرق والغرب في أعمال ليف نوسيمباوم الأدبية
- المؤلف: كريستين بوساور- غروس
- دار النشر: دار انشر هـ. يـ ماوغاغ
- تاريخ النشر: 2018
- عدد الصفحات: 127 صفحة
- اللغة: الألمانية

يتناول هذا الكتاب أعمال الكاتب ليف نوسيمباوم الملقب بأسد باي أو قربان سعيد، وهو من عائلة أزربادنجانية ألمانية، وتعود أصوله إلى يهود روسيا. وكتب مؤلفات أدبية وفكرية. أعمال نوسيمباوم لم تتم دراستها حتى اليوم. للمستشرق اليهودي الألماني الذي أعلن إسلامه مجموعة من الكتب منها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وروايتان من بينها روايته الشهيرة علي ونينو، وفتاة من القرن الذهبي. توفي في عام ١٩٤٢. هذا الكتاب يحلل العناصر والموتيفات التي تحيل على الشرق وثقافته في مؤلفات هذا المستشرق اليهودي.

- الكتاب: علوم القرآن: دليل دولي لأبحاث القرآن التاريخية من 1807 إلى 2017
- الكاتب: ميشائل فيش
- دار النشر: شيلر هانس
- سنة النشر: 2018
- عدد الصفحات: 809 صفحة

هذا الكتاب عبارة عن دليل في البحوث الدولية في القرآن الكريم والمجالات ذات الصلة منذ بداية القرن التاسع عشر حتى وقتنا الحاضر، ويحتوي على ٦٦٠٠ مرجع بيبليوغرافي. تتراوح هذه المراجعة الزمنية لقرنين من علوم القرآن من جوزيف فون هامر بورغستال إلى أنجيليكا نيوفرت. تشير هذه النظرة العامة أيضًا إلى الاستقبال العلمي للقرآن والعلاقة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ليس فقط في ألمانيا بل في العالم أجمع. ويمكن اعتبار هذا الكتاب الجزء الثاني لكتابه الأول عن بيبليوغرافيا الترجمات الألمانية للقرآن، الذي نشره الكاتب ميشائيل فيش سنة ٢٠١٧.

- الكتاب: اللاعنف في الإسلام: المفكرون والناشطون وحركات اللاعنف الإسلامي
- المؤلف: محمد سمير مرتضى
- دار النشر: فرغانغنهايت
- تاريخ النشر: 2019
- عدد الصفحات: 224 صفحة

هذه الدراسة هي الأولى من نوعها في العالم الناطق بالألمانية، ويلخص هذا الكتاب أهم العناصر والحركات في أخلاقيات السلام الإسلامية ويجدد رؤيتنا للإسلام. ويناقض هذا الكتاب كليشيهاتنا عن الإسلام: في العالم الغربي، يُنظر إلى الإسلام على أنه تهديد للسلام الاجتماعي والعالمي. نتيجة لأعمال العنف العديدة التي يرتكبها المسلمون – سواء في الحروب (المدنية) أو في الهجمات الإرهابية – لا يعتبر "للإسلام" محتوى أخلاقي. ويكشف هذا عن نقص هائل في المعرفة حول تنوع الإسلام.

- الكتاب: تفسير القرآن: شرح آيات مهمة في فترة وجيزة وعلى نحو واضح
- دار النشر: زوركامب أ. ج.
- سنة النشر: 2019
- عدد الصفحات: 347 صفحة

يعد هذا الكتاب الجزء الثاني من كتاب سابق، حيث تم بث القرآن أسبوعيًا على Deutschlandfunk منذ عام ٢٠١٥. في ذلك، يشرح اللاهوتيون الإسلاميون والعلماء الإسلاميون آيات فردية من القرآن بلغة مفهومة عمومًا. الاختيار المواضيعي واسع ويتناول الأسئلة المهمة للتعايش الحالي بين المسلمين ومعهم. ظهر المجلد الأول الذي يحمل نفس الاسم في عام ٢٠١٧ في كتاب الجي، وبعد النجاح الكبير، أصبح المجلد الثاني مع ٨٠ آية قرآنية أخرى متاحًا الآن. مرة أخرى، يتم تقديم السور الهامة بشكل موجز وواضح من قبل كبار الخبراء. كتاب مستنير لكل الناطقين باللغة الألمانية.

- الكتاب: برنامج آخن للأدب المقارن: النسخة المخيالية هوجو ديزيرينك لعلم الأدب المقارن
- الكاتب: هورست شميدت
- دار النشر: فرانك وتيمه
- تاريخ النشر: 2018
- عدد الصفحات: 282 صفحة

إن "برنامج آخن" للدراسات المقارنة – الذي شكله هوغو ديزيرينك على خلفية فكرة "مختبر أوروبا" – هو محور هذا البحث التاريخي. يرسم هورست شميدت تاريخ "برنامج آخن"، ويعرض محتواه ويظهر آفاق تطويره. يعرّف □□□□□□□□ وطلابه الدراسات الأدبية العامة والمقارنة بوصفها نظاما مستقلا يتعامل مع المواضيع الأدبية متعددة الجنسيات التي ترتبط بعدة آداب فردية من موقع فوق وطني. العنصر الأساسي هنا هو التخيل، الذي يحلل الصور الذاتية الوطنية والعرقية والصور الخارجية (الصور التلقائية وغير المتجانسة) في الأدب بروح العقلانية النقدية.

حالياً في الأسواق..

مجلة التفاهم

عنوان العدد: وحدة الأمة : الأخطار والمبادرات

عبد الرحمن السالمي

المحـــاور

- **المقولة القرآنية في وحدة الأمة وتجاوز الأخطار والمخاطر** – رضوان السيد
- **التفرقة والفتنة ومعالجتهما في الكتابِ والسيرة النبوية** – كيان أحمد حازم يحيى
- **الشعوبية في تاريخ الإسلام الكلاسيكي** – نبيل فازيو
- **الشعبويات في الزمن الحديث للدولة الأوروبية: نماذج الفاشيات** – أحمد زايد
- **حركات الإنجيليين الجدد: معنى ظهورها وانتشارها** – عز الدين عناية
- **الشعبويّات اليمينية القومية والدينية في العالم المعاصر–الأسباب والتداعيات** – ياسر قنصوه
- **خطابات الشعبوية في الفكر السياسي المعاصر** – الزواوي بغوره
- **الشعبوية وظواهرها في المجتمع والدولة** – عبدالفتاح الزين
- **الحركات السياسية – الدينية في الإسلام المعاصر : الظهور والتداعيات** – صلاح الدين الجورشي
- **الفلاسفة المعاصرون ومسألة الشعبوية: قراءة في آراء ستة فلاسفة** – محمد الشيخ

دراســـات

- **حول الأدب المقارن** – أحمد درويش
- **السيميائيات الراهنة وسؤال المعنى** – أحمد يوسف
- **عن الترجمة** – محمد عناني
- **السّرديات : مسارات وإبدالات** – محمد بوعزة

وجهات نظر

- **"حقوق الإنسان" وقضايا المجتمع** – أمل مبروك عبدالحليم

آفـــاق

- **نظرة الإسلام لحرية المعتقد كقاعدة صلبة للتعايش** – قدور سلاط
- **الذّات والمستقبل جدلية الوافد والموروث** – عيضان السيد علي

مدن وثقافات

- **من بومباي الى مسقط: عُمان والهند والخليج في رحلة الأمريكي لوكر Locker عام 1866م** – أحمد السعيدي

الإسلام والعالم

- **الاسلاموفوبيا: من الخصوصية والمفارقة إلى الكراهية**
إعداد: رضوان السيد

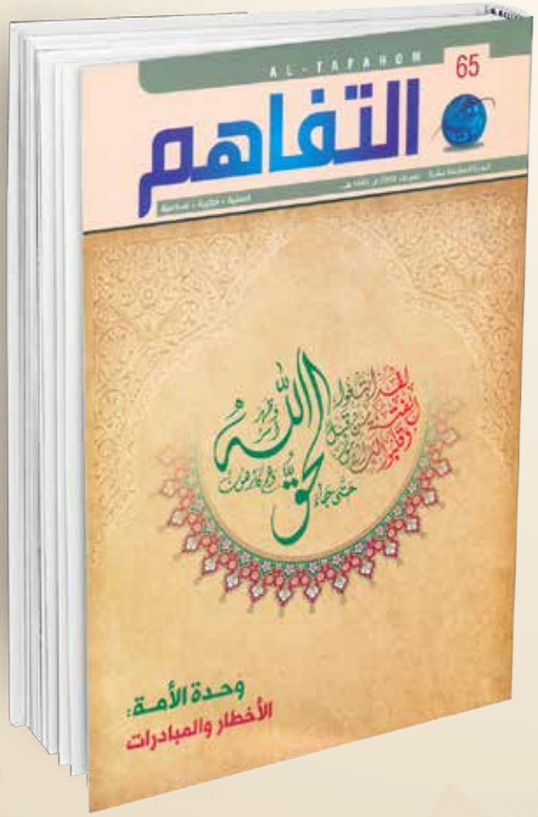

النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها
مجلة التفاهم هاتف : 24644031 – 24644032 968+ , فاكس : 24605799 968+
البريد الإلكتروني : tasamoh@gmail.com – al.tafahoom@gmail.com – www.altafahom.net